سلسلة : خواطر شاب (٣)

يا ابني أقم الصلاة

إعداد

أبي عبد العزيز منير الجزائري

قدم له

فضيلة الشيخ الدكتور

مسعد بن مساعد الحسيني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية والمدرس بالمسجد النبوي

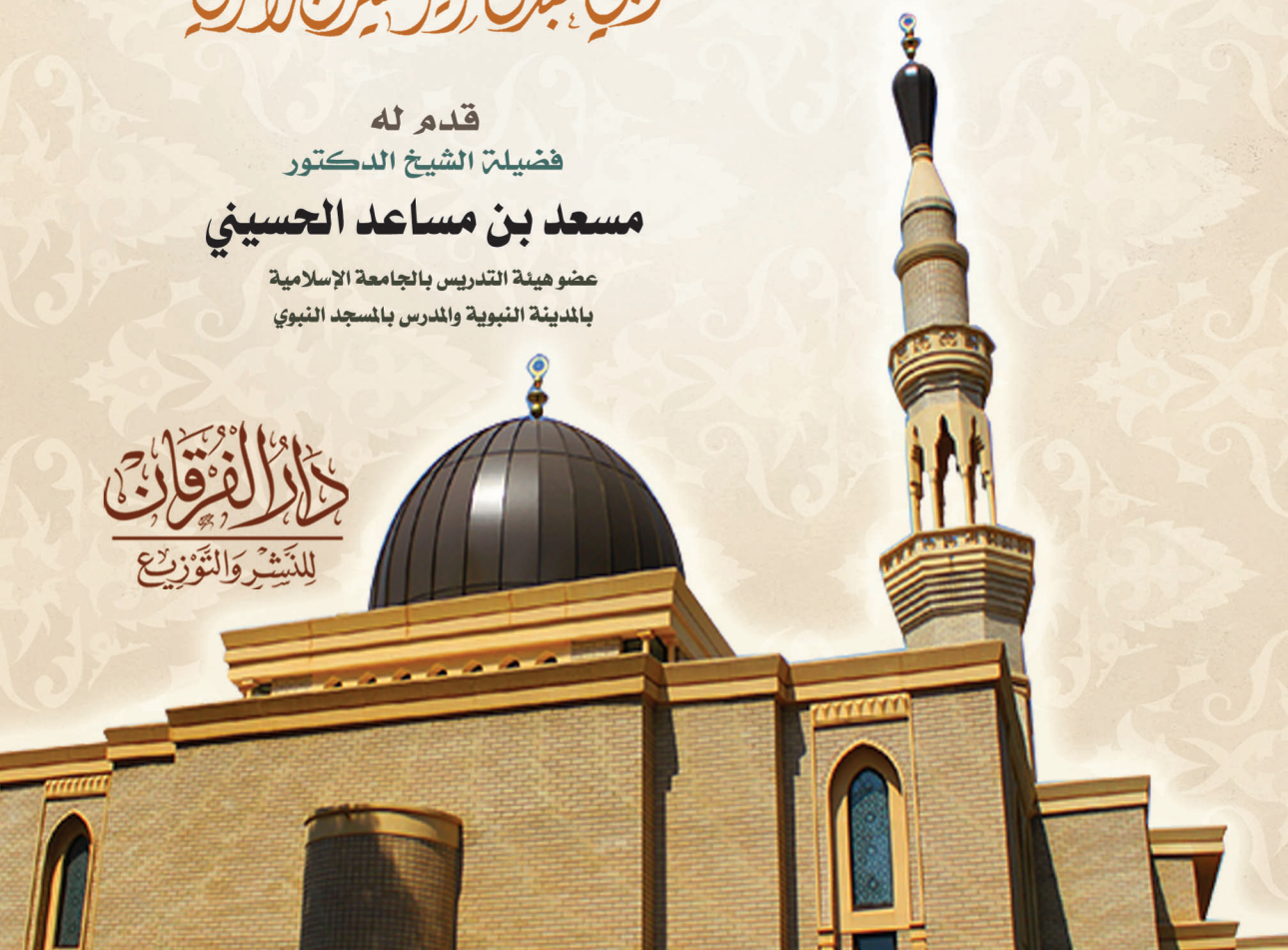

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

سلسلة خواطر شاب: (٣)

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

إعداد

أبي عبد العزيز منير الجزائري

تقديم فضيلة

الشيخ الدكتور

مسعد بن مساعد الحسيني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

دار الفرقان للنشر والتوزيع

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثانية

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

تقديم وتقريظ:

فضيلة الشيخ الدكتور

مسعد بن مساعد الحسيني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد أهداني أخي الحبيب الشيخ/ منير الجزائري (أبو عبد العزيز) مجموعة من مؤلفاته فسرني ما استملت عليه من توجيه سديد ومواضيع مفيدة حرصه على النزول من علوم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

فإني إذ أشكره على اتحافه وجهوده الكبيرة أوصيه بتقوى الله تعالى والاستمرار على هذا العمل الرشيد والسعي الحميد والمرائي السديد معتنيا بالاعتراض مترسما بالعلم غير آبه بالمواقف مرحبا بالنصائح في ذلك لله تعالى وهو مستعمل كل عزم مبارك.

سائلا الله له الثبات على الحق والمزيد من التوفيق والتسديد

إنه سميع مجيب.

قاله وكتبه

د. مسعد بن مساعد الحسيني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

١٤٢٥/٦/٥هـ

«عَنْ عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ:

إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي **الصَّلاَةُ** فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ»

رواه الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الموطأ (٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لله المُمْتَنِّ على عِبَادِه المُؤْمِنِين بِمَا دَلَّهُم عَلَيه مِنْ مَعْرِفَتِه، وشَرَحَ صُدُورَهم للإيمان به وَتَوْحِيدِه، وَمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاة خُضُوعًا لِجَلَالِه، وَخُشُوعًا لِعَظَمَتِه، وَتَوَاضُعًا لِكِبْرِيَائِه، وَلَمْ يَفْتَرِضْ عَلَيْهِم بَعْدَ تَوْحِيدِه وَالتَّصْدِيق بِرُسُلِه وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِه فَرِيضَة أَوَّل وَلَا أَعْظَم مِنَ الصَّلَاة.

مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَة، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُور ولَا بُرْهَان يَوْمَ القِيَامَة.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه، صَلَّى الله عَلَيْه وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه وَأَزْوَاجِه وَسَلَّم تَسْلِيمًا كثيرًا؛ وَبَعْدُ:

فَلَا رَيْبَ أَنَّ الصَّلَاة قُرَّةُ عُيونِ المُحبِّين، ولَذَّةُ أَرْوَاح المُوَحِّدِين، وبُسْتَان العَابِدين، ولذَّة نُفُوسِ الخَاشِعِين، وَمحك أَحْوَالِ الصَّادِقِين، وَمِيزَانُ أَحْوَالِ السَّالِكِين، وَهِيَ رَحْمَةُ الله المُهْدَاة إِلَى عِبَادِه المُؤْمِنِينهَدَاهُمْ إِلَيْهَا، وَعَرَّفَهُمْ بِهَا، وَأَهْدَاهَا إليْهِم على يَدِ رَسُولِه الصَّادِق الأَمِين، رَحْمةً بهم، وإكرامًا لهُم، لينَالُوا بها شَرفَ كَرَامَتِه، وَالفَوْز بقُرْبِه، لَا لحاجة منهُ إليهم، بَلْ مِنَّة مِنْه، وتفضَّلًا عليهم، وتعبَّد بها قلوبهُم وجوارحهُمْ جَميعًا، وَجَعَلَ حظَّ القلبِ العارف منْها أكمل

الحَظَّيْن وَأَعْظَمَهُما؛ وهو إقباله عَلَى رَبِّه سُبْحَانه، وفرحه وتلذُّذه بقربِه، وتنعُّمِه بحبِّه، وابتهاجه بالقيام بَيْنَ يَدَيْه، وانصرافه حال القيام له بالعبُوديَّة عَنْ الالتفاتِ إلى غَيْر معبوده، وتكميله حقوق عبوديته ظاهرًا وباطنًا حتَّى تَقَع على الوجه الَّذِي يرضاه ربُّه سبحانَهُ[1].

الصَّلَاةُ وما أدراك ما الصَّلاة! عبادةُ مِنْ أعظِم العبادات، وقربة من أفضلِ القُرُبات، لا يُفرِّط وَلَا يقصِّرُ فيها المُسْلِمُون وَالمُسْلِمَات، فَالصَّلَاة حَيَاة...

قَال العَلَّامة عبد الرَّحمَن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«تأمَّلْ مَا فِي الصَّلاة مِنَ الإخلاصِ لله، والإقبال التَّام عليه، والثَّناء والدُّعاء والخضوع، وأنَّها شجرة الإيمان بمنزلة الملاحظة والسُّقي للبُسْتان، فلولا تكرُّر الصَّلاة في اليوم واللَّيلة ليبستْ شجرةُ الإيمان، وذَوَى عُودُه، ولكنَّها تنمو وتتَجَدَّد بعبوديات الصَّلاة.

وانظر إلى ما تحتوي عليه الصَّلَاة مِنَ الاشتغال بذكر الله الَّذِي هُوَ أكبر مِنْ كُلِّ شيء، وأَنَّها تَنْهَى عَنْ الفَحشَاء والمُنْكر»[2].

أَلَا فِـــي الصَّـــلَاةِ الْخَيْـــرُ وَالْفَضْـــلُ أَجْمَـــعُ

لِأَنَّ بِهَـــــا الْآرَابُ لِلَّـــــهِ تَخْضَـــــعُ

وَأَوَّلُ فَـــــرْضٍ مِـــــنْ شَـــــرِيعَةِ دِينِنَـــــا

---

(١) «أسرار الصَّلاة» (ص٢٢٨).

(٢) «الدُّرَّة المختصرَة في محاسن الدِّين الإسلامي» (ص ١٣).

وَآخِـــرُ مَـــا يَبْقَـــى إِذَا الـــدِّينُ يُرْفَـــعُ

فَمَنْقَـــامَ لِلتَّكْبِيـــرِ لَاقَتْـــهُ رَحْمَـــةٌ

وَكَـــانَ كَعَبْـــدٍ بَـــابَ مَـــوْلَاهُ يَقْـــرَعُ

وَصَـــارَ لِـــرَبِّ الْعَـــرْشِ حِـــينَ صَـــلَاتِهِ

نَجِيًّـــا فَيَـــا طُوبَـــاهُ لَـــوْ كَـــانَ يخشـــعُ

فهذه نصيحةٌ عابرة.. تَحْكِي مَا فِي الفُؤَاد مِنْ أَحْزَان.. وَمَا فِي القَلْبِ مِنْ أَشْجَان..يَوْم أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا..نَسْمعُ ونَرَى - هُنَا وَهُنَاكَ - شَبَابَنا:

- هدانا الله وإياهم - مَنْ للصَّلاة تَارِك..وَهَذا لَهَا مُضَيِّع..وآخر لِوَقْتِهَا مُؤَخِّر!

وَاحُزْنَاه.. أَهَذَا في بلاد الإسلام؟!

وَأَلَمَاه.. أَهَذَا في أمَّة رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام؟!

أَلَيْسَتْ الصَّلَاة برهانًا عَلَى الإيمان؟!

أَلَيْسَتْ برهانًا على حُبِّ الرَّحيم الرَّحْمَن؟!

أَلَيْسَتْ دليلًا عَلَى رَجَاءِ مَا عِنْدَ الكَرِيم المَنَّان؟!

أَلَيْسَتْ عَلَامةً على خوف الوَاحد الدَّيَّان؟!

فلمـاذا تُركـتْ..وعُطِّلـتْ..وهُجِـرَتْ..وأُخِّـرتْ؟! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾[ص: ٧٢].

لهذا وذاك جاءت هذه الوُرَيْقات فيها نصائح وتوجيهات.. مُرَغِّبات

وتحذيرات.. لَعَلَّها تَنْفض عنك غبار الغَفَلَات..وتُحيي في قلبك حُبَّ الصَّلوات والطَّاعات لربِّ البريات قيُّوم الأرض والسَّموات ﷻ.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لشيخنا الدكتور:

مسعد بن مساعد الحسيني حفظه الله على نصائحه الذهبيَّة، وكلماته التَّشجيعيَّة.

مُحِبُّكُم فِي الله[1]

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

(١) أصل هذه الرِّسالة هي الوَصيَّة الثَّالثة مِنْ كتابي المُتواضع: «مِنَ القَلْبِ إِلَى القَلْبِ، نَصَائِحٌ وَتَوْجِيهَاتٌ لِلشَّابِ المُسْلِمِ»، ثمَّ أردتُ أَنْ أفردَ هَذَا المَوْضُوع برسالةٍ صغيرة لأهميته، وَفَّقَنَا الله وإيَّاكم لكلِّ خَيْر.

مَدْخَل

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1].

إِنَّها وَصِيَّةُ لُقْمَان الحَكِيم.. خَلَّدَ ذِكْرَها القُرْآنُ الكَرِيم..

وَصِيَّةُ حَنَانٍ وَرَحْمَة مِمَّنْ آتَاهُ الله الحِكْمَة..

مِنْ أَبٍ لابْنِه.. بِأَرَقِّ العِبَارَات، وَجَمِيلِ الكَلِمَات.. بِقَلْبٍ يَنْبُضُ حُبًّا وَوُدًّا.. وَبِلِسَانٍ يَقْطُرُ شَهْدًا.

لِتَكُونَ لَنَا شِعَارًا وَنِبْرَاسًا فِي مُعْتَرَكِ الحَيَاة لِمَنْ أَمَّل لِأَبْنَائِهِ النَّجَاة..

نَعَمْ! قَدْ يَكُونُ زَمَنُ التَّكْلِيفِ وَسِنُّ البُلُوغِ بَعِيدًا..لَكِن لَابُدَّ مِنَ التَّحْضِير وَالتَّهْيِئَة الجَادَّة الحَازِمَة العَازِمَة لِهَذِه العِبَادَة العَظِيمَة الَّتِي سَيَعَيشُ مَعَهَا طِفْلُ اليَوْمِ الَّذِي هُوَ رَجُلُ الغَد.. سَتُرَافِقُه مَادَامَتْ الرُّوحُ فِي الجَسَد، فَيَا أَيُّهَا الوَالِدُ النَّاصِح الصَّالِح لَا تَتَوَانَى فِي التَّرْكِيز عَلَيْهَا﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[سُورَةُ طٰهٰ: ١٣١].

فَهَذَا نِدَاءٌ لِلْأُمَّهَات وَالآبَاء احْرِصُوا عَلَى صَلَاح الأَبْنَاء.. وَأَوَّلُ خُطُوَاتِ الإِصْلَاح الحَثُّ عَلَى الصَّلَاة.. «**حَيَّ عَلَى الصَّلَاة، حَيَّ عَلَى الفَلَاح**».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا

---

(١) [سُورَةُ طٰهٰ: ١٣٢].

وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ..»[١].

أَيُّهَا الأَبُ الغَالِي..أَيَّتُهَا الأُمُّ الغَالِيَة..قَدْ تَجِدَانِ مَشَقَّةً وَتَعَبًا فِي تِكْرَارِ نُصْحِكُمَا لِأَوْلَادِكُمَا.. وَلَكِنْ تَيَقَّنَا أَنَّ فِي اسْتِقَامَةِ أَبْنَائِكُمَا لَذَّة لَا تَعْدِلُهَا لَذَّات وَمَسَرَّات الدُّنْيَا.

إِنَّكُمَا تَقُومَانِ بِإِصْلَاحِه لِيَكُونَ الوَلَد الصَّالِح الَّذِي يَدْعُو لَكُمَا بَعْدَ مَوْتِكُمَا.

لَكِنْ مَنْ«أَهْمَلَ تَعْلِيمَ وَلَدِهِ مَا يَنْفَعُهُ وَتَرَكَهُ سُدًى؛ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ غَايَةَ الإِسَاءَة، وَأَكْثَرُ الأَوْلَادِ إِنَّمَا جَاءَ فَسَادُهُمْ مِنْ قِبَلِ الآبَاء وَإِهْمَالِهِمْ لَهُمْ، وَتَرْك تَعْلِيمِهم فَرَائِضَ الدِّين وَسُنَنَه؛ فَأَضَاعُوهُمْ صِغَارًا فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِأَنْفُسِهِم وَلَمْ يَنْفَعُوا آبَاءَهُم كِبَارًا؛ كَمَا عَاتَبَ بَعْضُهُمْ وَلَدَهُ عَلَى العُقُوقِ فَقَالَ: يَا أَبَتِ إِنَّكَ عَقَقْتَنِي صَغِيرًا فَعَقَقْتُكَ كَبِيرًا، وَأَضَعْتَنِي وَلِيدًا فَأَضَعْتُكَ شَيْخًا»[٢].

إِنَّ الحِرْصَ عَلَى الأَبْنَاءِ لِإِقَامَةِ الصَّلَاة مِنْ خِصَال الأَنْبِيَاء، قَالَ تَعَالى:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [سُورَةُ مَرۡيَمَ].

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ الأَوْلِيَاء فِي تَرْبِيَةِ الأَبْنَاء..الانْطِرَاحُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء بِالإِلْحَاح بِالدُّعَاء، كَمَا كَانَ مِنْ دُعَاء إِبْرَاهِيم عليه السلام:

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٨).

(٢) «تحفة المودود» (ص٢٣٠).

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾[سُورَةُ إِبۡرَٰهِيمَ].

تَقُولُ إِحْدَى الأُمَّهَات الصَّالِحَات:

ابْنِي «أَصْلَحَهُ الله لَمْ يَكُنْ يَهْتَمّ بِأَمْرِ دِينِه أَبَدًا..لَاهِيًا مَشْغُولًا فِي دُنْيَاه..وَإِذَا ذَكَّرْتُهُ بِالصَّلَاة أَوْ أَيْقَظْتُهُ لَهَا لَا يَسْتَجِيبُ لِي.. فَأَصْبَحْتُ قَلِقَةً وَحَزِينَةً جِدًّا..عِنْدَ ذَلِكَ لَجَأْتُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَفَزَعَتْ إِلَى الصَّلَاة وَالدُّعَاء..

تَحَرَّيْتُ أَوْقَاتَ الإِجَابَة خَاصَّة فِي الثُّلُثِ الأَخِير مِنَ اللَّيْلِ أَدْعُو الله أَنْ يَجْعَلَ قُرَّة عَيْنِه فِي الصَّلَاة.

وَكُنْتُ أُرَدِّدُ هَذَا الدُّعَاء: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ [سُورَةُ إِبۡرَٰهِيمَ].

وَأُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاء بِخُشُوعٍ.. وَصِدْقٍ.. وَدُمُوعٍ.. وَتَذَلُّلٍ لله، خَاصَّة عِنْدَمَا أَتَخَيَّلُ أَنَّ ابْنِي فِي النَّار بِسَبَبِ تَكَبُّرِه عَنْ الصَّلَاة..

مَرَّتْ سَنَتَان وَأَنَا عَلَى هَذِه الحَال أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله.. إِلَى أَنْ جَاءَ اليَوْمُ الَّذِي رَأَيْتُ فِيهِ ابْنِي قَائِمًا يُصَلِّي!

بَلْ وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا وَيُبَيِّنُ لِلنَّاس أَهَمِّيَتَهَا!

فَحَمِدْتُ الله وَعَرَفْتُ حَقًّا أَنَّ الله هُوَ السَّمِيعُ المُجِيب..

الَّذِي يُجِيبُ دَعْوَةَ المُضْطَرِّين..

لَقَدْ كَانَتْ الوَسِيلَةُ العُظْمَى فِي تَجْرِبَتِي هِيَ الإِخْلَاص فِي الدُّعَاء وَالإِلْحَاح فِيه..»[1].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [سُورَةُ الفُرْقَانِ].

(١) «تجارب للآباء والأمهات في تعويد الأولاد على الصلاة» (ص١٣).

الوَقْفَةُ الأُولَى: يَا بِلاَلُ أَقِمْ الصَّلاَةَ

أَخِي الحَبِيب، أَتَدْرِي مَنْ قَالَ هَذِه الكَلِمَات؟

الجواب: إنَّه نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ؛

إنَّ الدّنيا:

«غرَّارةٌ غدَّارةٌ، خدَّاعةٌ مكَّارةٌ، تُظَنُّ مقيمةً وهي سيَّارة، ومُصالِحةً وقد شَنَّت الغَارَة»[1].

إِنَّ الدُّنيا دار تعبٍ وبلاء..نكدٍ وشقاء، لأنَّ الإنسان خُلِق في كَبَد، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى فِي كِتَابِه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ الْبَلَدِ].

«أَوَّلُ مَا يُكَابِدُ قَطْعَ سُرَّتِهِ، ثُمَّ إذا قُمِطَ قِمَاطًا، وَشُدَّ رِبَاطًا، يُكَابِدُ الضِّيقَ وَالتَّعَبَ، ثُمَّ يُكَابِدُ الِارْتِضَاعَ، وَلَوْ فَاتَهُ لَضَاعَ، ثُمَّ يُكَابِدُ نَبْتَ أَسْنَانِهِ، وَتَحَرُّكَ لِسَانِهِ، ثُمَّ يُكَابِدُ الْفِطَامَ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ اللِّطَامِ، ثُمَّ يُكَابِدُ الْخِتَانَ، وَالْأَوْجَاعَ وَالْأَحْزَانَ، ثُمَّ يُكَابِدُ الْمُعَلِّمَ وَصَوْلَتَهُ، وَالْمُؤَدِّبَ وَسِيَاسَتَهُ، وَالْأُسْتَاذَ وَهَيْبَتَهُ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ التَّزْوِيجِ وَالتَّعْجِيلَ فِيهِ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ الْأَوْلَادِ، وَالْخَدَمِ وَالْأَجْنَادِ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ الدُّورِ، وَبِنَاءِ الْقُصُورِ، ثُمَّ الْكِبَرَ وَالْهَرَمَ، وَضَعْفَ الرُّكْبَةِ وَالْقَدَمِ،

(١) «المُدهش» (١/ ٢٩٧).

فِي مَصَائِبَ يَكْثُرُ تَعْدَادُهَا، وَنَوَائِبَ يَطُولُ إِيرَادُهَا، مِنْ صُدَاعِ الرَّأْسِ، وَوَجَعِ الْأَضْرَاسِ، وَرَمَدِ الْعَيْنِ، وَغَمِّ الدَّيْنِ، وَوَجَعِ السِّنِّ، وَأَلَمِ الْأُذُنِ.

وَيُكَابِدُ مِحَنًا فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ، مِثْلَ الضَّرْبِ وَالْحَبْسِ، وَلَا يَمْضِي عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلَّا يُقَاسِي فِيهِ شِدَّةً، وَلَا يُكَابِدُ إِلَّا مَشَقَّةً، ثُمَّ الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة الْمَلَكِ، وَضَغْطَةَ الْقَبْرِ وَظُلْمَتَهُ، ثُمَّ الْبَعْثَ وَالْعَرْضَ عَلَى اللهِ، إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ الْقَرَارُ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾، فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ لَمَّا اخْتَارَ هَذِهِ الشَّدَائِدَ.

وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ لَهُ خَالِقًا دَبَّرَهُ، وَقَضَى عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ، فَلْيَمْتَثِلْ أَمْرَهُ»[1].

فالدُّنيا بِغُمُومِهَا وهُمُومِها.. (مُتْعِبَـة)... لكنَّها بالصَّلاة وتعلُّق القلب بالربِّ تَسقطُ (الباء) فتُصبِحُ بإذن الله (مُتْعَة).

إنَّ «الإنسان حِينَمَا يَنْسلُّ مِنْ ضَوْضَاء العَمَلِ وصَخَبِ الغَادِين والرَّائحين، ويتسلَّلُ مِنْ عَنَاء الأَخْذِ وَالعَطَاء، وَالبَيْعِ وَالشِّرَاء، والمُمَاحَكة والمُسَاوَمة، والدِّراسة والتّدريس، ومَطَالب المُرَاجِعين، ويقفُ في مُصَلاّه يَتَخَلَّى عَنْ كُلِّ هذه المُزْعِجات، فتهدأُ نفسه ويطمئنُّ قلبه، ويستريحُ جسمه، وينطفئ غضبُه، وتتقيّدُ شهواته، ويمكثُ دقائق يناجي مَنْ يُحِبُّ.

وَالحُـــبُّ أَعْظَـــمَ مَـــا يَكُـــونُ إِذَا انْفَـــرَدْتَ بِمَـــنْ تُحِـــبُّ

ويسأله العونَ والتَأْيِيد، ويَسْتَمْنِحُه القُوَّة في الخيْر، والصَّبر على المُجاهدة،

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٦٢).

والعفو إِنْ أساء إلى أحدٍ مِنَ الخلق بنظرةٍ عابسةٍ أو كلمةٍ نابيةٍ أو تصرُّفٍ قاسٍ، فتكون هذه الدقائق بمثابة شُحنة مِنَ المُدَخَّرات وتبريد الحركات..

ومن هذا المُنْطلق السَّامي كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه (أَهَمَّهُ) أمرٌ فَزَعَ إلى الصَّلاة، وإذا عَاد مُنْهك القُوّة مِن قِتَال الأعداء قال: «**يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا**»أي أَذِّن للصَّلاة، لتكون الصَّلاة راحة من مُعَانَاة الحياة ومشكلاتها.

والإنسانُ مخلوقٌ ضعيفٌ محدودُ القوّة، لا يستطيعُ العمل المُتَواصل، فلابدَّ له مِنْ استراحة جسميّة وعقليّة، ولا يتسنَّى له ذلك إلّا في الصَّلاة؛ والرَّاحةُ نصفُ حياته؛ ولهذا جعل الله تعالى اللَّيل سكنا والنّوم سباتا وراحة، وكم يصرف المُصَلِّي مِنْ وقته في صلاته؟

إنّها إِنْ امْتَدَّتْ وَطَالَتْ لَا تَسْتَغْرِقُ رُبْعَ سَاعَةٍ، أَفَتَضُنُّ[1] عَلَى نَفْسِكَ أَيُّهَا العَاقِلُ بِدَقَائِقَ مَعْدُودَات بَيْنَ فَتْرَةٍ وَأُخْرَى مِنْ يَوْمِكَ؛ لِتَحْصُلَ عَلَى كُلِّ هَذِه المَنَافِعِ بَيْنَمَا تَجُودُ بِسَاعَات طِوال تُضَيِّعُها سُدًى في الزِّيَارَات وَالسَّهَرَات»[2].

وَمِنْ عَجَائِبِ الأَخْبَار مَا نُشِرَ أَنَّ عَمِيدَ الأَطِبَّاء النَّفْسَانيِّين فَي أَلْمَانْيَا اعْتَاد أَنْ يُعَالِجَ مَرْضَاه بِإِسْمَاعِهِم «الأَذَان» دُونَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّه النِّدَاء الإِسْلَامِيّ باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَلَمَّا اكْتَشَفَ هَذِهِ الحَقِيقَةِ قَالَ: «إِنَّ كَلِمَاتِ الأَذَان الَّذِي يَدْعُو المُسْلِمِينَ إِلَى الصَّلَاة، يُدْخِلُ السَّكِينَة إِلَى قَلْبِ المَرِيضِ النَّفْسِيّ حَتَّى لَوْ

(١) أي: أَتبخل عَلى نَفسِك.

(٢) «لماذا أصلِّي؟» (ص ١٢).

لمْ يَكُنْ يَفْهَمْ مَعَانِيهَا!!».

وأضاف: «إنَّ الأذان يَزْرَعُ النُّور والأَمَل بِدَاخل المُصَابِين بالاكتئاب.. أو كراهية الحياة، أو الشُّعور بِالفَشَل»[1].

كلُّ هذا بسماع النِّداء، فَمَا بالكم بالصَّلاة والوَقُوف بَيْن يَدَي ربِّ الأرضِ والسَّماء، والانطراح سَاجِدًا مع الثَّناء والدُعَاء!!

الصَّلاةُ تَجْلِبُ للنَّفس راحةً وطمأنينة في كلِّ أَحْوالها، لاسيما في النَّوازل والمصائب الَّتِي تَعْتَرِي المُؤْمِن..فَهِي الملاذُ الَّذِي تَرْنُو إِلَيْه النَّفس دائما، لِيُذْهِبَ عنْها الضِّيق والحَرَج وتحلّ الرَّاحة والسَّكينة، فحين يُكَبِّرُ المُصَلِّي تَكْبِيرة الإِحْرام فكأنَّما أَلْقى بالدُّنيا ومَا فِيها مِنْ تَعَبٍ وكَدَرٍ إلى الوراء، وبَدَأ يستقبلُ نوعًا آخر مِنَ المَشَاعر والأحاسيس الَّتِي يفتقدُها قَبْل الدُّخول في هذا المَقَام السَّامي مع ربِّه سبحانه وتعالى.

تُعَدُّ الصَّلاة مِنْ أهمِّ الأسباب الَّتِي تُزِيلُ عَنْ المؤمن القَلَق النَّفْسي النَّاجم عَنْ مُؤثِّرات الحياة، فهو في صلاته يَشْعُر بعظمة خالقه حين يركع له ويسجد له بقلبه

---

(١) «مَجَلَةُ الدَّعْوَةِ» العَدَد (١٢٢٥)، «رسائل إلى الشَّباب» (ص ٧٢).

فَائِدَةٌ:

«الأذانُ على قِلَّة ألفاظه مشتملٌ على مسائل العقيدة لأنَّه بَدَأ بالأكبرية وهي تتضمَّنُ وجود الله وكماله، ثمَّ ثنَّى بالتَّوحيد ونفي الشَّريك، ثمَّ بإثبات الرِّسالة لمحمَّد ﷺ، ثمَّ دَعَا إلى الطَّاعة المخصوصة عقب الشَّهادة بالرِّسالة لأنَّها لا تُعرف إلَّا مِنْ جهة الرَّسول، ثمَّ دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدَّائم، وفيه الإشارة إلى المعاد ثمَّ أعاد ما أعاد توكيدًا»«فتح الباري» (٢/ ٧٧).

وجوارحه، فتَصغُر في نفسه مُسَبِّبَاتُ ذلك القلق وتوابعه، لأنَّه يحسُّ أنَّ هذه النَّفس قد خَرَجَتْ مِنْ ضيق الدُّنْيا إلى سعة رحمة الله وعَظَمَتِه الَّتِي تخشعُ له كلُّ الخلائق وتَسجدُ له طوعًا وكرهًا[1].

الصَّلاةُ الخَاشعةُ هِيَ اللَّمسَةُ الحانِيَة الَّتِي يَخْتَفي مَعَهَا التَّعب فِي غَمَرَات السَّكينة الإيمانيَّة، وعَرَصَات الرُّوحانيَّة العاليَّة...هِيَ البَلْسم الشَّافي لقلق النَّفس وضُعْفها، فَإذَا بها تَطْمَئِنُّ بَعْدَ قلق؛ إِذْ بِذِكرِ الله تطمئنُّ القلوب، وتسكُنُ بعد اضطراب إِذْ تَتَّصل بِبَاعث السَّكينة في نُفُوس المُؤْمنين، وتَأْمَنُ بعد فَزَع إذ تَرْكُنُ إِلَى مَنْ رَزَقَها..وتقرُّ بَعْد خوف إِذْ لن يُصِيبها إلَّا مَا كَتَبَ الله لَهَا... يَا أرباحَ الخَاشِعين مَا أَثمنك..يا فوزَ الخَاشعين مَا أَغْلَاك[2].

المُؤْمِنُ .. وَالصَّلَاة:

«قُرَّةُ عَيْنَيْهِ وَنَعِيمُ رُوحِه وَجَنَّةُ قَلْبِه وَمُسْتَرَاحُهُ فِي الدُّنْيَا.

فَلَا يَزَالُ كَأَنَّهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهَا فَيَسْتَرِيحَ (بِهَا) لَا (مِنْهَا)

فَالمُحِبُّون يَقُولُون : نُصَلِّي فَنَسْتَرِيحَ بِصَلَاتِنَا

كَمَا قَالَ إِمَامُهُمْ وَقُدْوَتُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ ﷺ: (يَا بِلَال أَرِحْنَا بِالصَّلَاة) وَلَمْ يَقُلْ أَرِحْنَا مِنْهَا»[3].

---

(١) «حياة السُّعداء» (ص ٢٧٤).

(٢) «صفقاتٌ رابحةٌ» (ص٥١).

(٣) «الوابل الصيِّب» (ص ٥٢).

الوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ: الصَّلَاةُ شُكْرٌ

أَخِي الحَبِيب اللَّبيب إنَّ الله تعالى أَوْجَدَك مِنَ العَدَم وربَّاك بالنِّعم..﴿بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[شُورَةُ النَّحْلِ: ٥٣].

تَتَقَلَّبُ في نِعَمه باللَّيل والنَّهار، بِالعَشيِّ والإبْكار، فَأينَ شُكْرُك للواحد القهَّار؟!

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «نِعَمٌ مِنَ الله تعالى تَتَرَادَفُ عليه فَقَيْدُهَا **الشُّكر** وهو مبنيٌّ على ثَلَاثةِ أَرْكَان:

١/ الاعْتِرافُ بها باطنًا.

٢/ وَالتَّحَدُّث بِهَا ظاهرًا.

٣/ وَتَصريفُها في مَرْضَاة وَلِيِّها ومُسْدِيهَا ومُعْطِيهَا.

فَإِذَا فَعَل ذلك فَقَدْ شَكَرَها مَعَ تَقْصِيرِه في شُكْرِهَا»[(١)].

إِدْرَاكُ هذا ألهب الشَّوق والاشتياق للصَّلاة مِنَ العِبَادِ الأبرار والصَّالحين الأخيار، فَشَوقُهُم حدِّث عنه ولا حرج، كأنَّه أزهار تضوّع مِنْها الأَرَج..

---

(١) «الوابل الصيِّب» (ص ١١).

قال عبد الرحمن الحُبُلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الصَّلَاةُ شُكْرٌ**، والصِّيام شُكْر، وَكُلُّ خَيْرٍ تَفْعَلُه شُكْر، وَأَفْضَلُ الشُّكْرِ الحَمْد» رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٦٢١).

قَالَ الإمامُ الشَّعْبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا دَخَلَ وقتُ صلاةٍ حتَّى أَشْتَاق إِلَيها».

وَقَال أيضًا: «مَا أُقيمتْ الصَّلاة مُنْذ أسلمتُ إلَّا وَأَنا عَلى وُضُوء»[1].

وهذا محمَّدٌ ﷺ إمامُ الأَنْبِيَاء وسَيِّدُ الحُنفاء إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى..

إنَّها قُرَّة عَيْنه.. وحبيبَةُ قلبِه... وغذاءُ روحِه .. يُصَلِّي حتَّى تَتَفَطَّر قَدَماه..

وَلَكِنَّ غيومَ الآلَام تَنْقَشِعُ فِي سَمَاء الآمَال..

الله أكبر.. الله أكبر.. حَتَّى تَتَفَطَّر، وَالدِّمَاء مِنْهَا تَتَقَاطَر!!

نعم حتَّى تتفطَّر قدماه! ولكنَّها لذَّة مُنَاجَاة ربِّه ومَوْلاه..

أخي تأمَّل جيِّدًا في هذا الموقف العجيب مِنَ النَّبي الحَبِيب ﷺ:

عن الْمُغِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[2].

قِصَّةٌ وَعِبْرَةٌ:

إنَّها قِصَّةُ رجل آتاه الله قوَّة في جسمه، وفُتُوَّة في عَضَلاتِه، فَنَسِيَ أنَّ الله هو القَوِيُّ العزيز، كان يسمع داعي الله فلا يُجِيبه، فإذا سَمِعَ داعي النَّفس والهوى أسرع في إجابتهما، وجُلُّ هَمِّه جَمْعُ أكبر قدرٍ مِنَ المال، ولا يُبَالي أَمِنْ حرامٍ كان أَمْ مِنْ حلال..

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

كان يعملُ حَمَّالا يحمل البضائع في الأسواق..وذات يوم، دَخَلَ متجرا وهو يحملُ بضاعةً فسقط عليه جدار وقع على ظهره، فَأُصِيبَ بِشَلَلٍ كُلِّي أفقده القُدْرَة على المشي والحركة، فَصَار حَيًّا ميِّتًا أو أشبه بالميِّت، قَدْ حُكِم عليه بعدم الحركة طِوَال الحياة، حَتَّى البول والبراز لا يملك إخراجهما بنفسه، فيحتاج إلى ثلاث ساعات على الأقل لإخراجهما بتحاميل طِبِيَّة، بَعْد عَرَقٍ غَزِير وأَلَمٍ عسير لا يعلمه إلَّا الله.

وعندما سأله أحد الزَّائِرِين عَنْ أمنيته الآن، قَالَ: **أَتَمَنَّى أَنْ أَحْضُرَ صَلَاةَ الجَمَاعَةِ...**

تخيَّل نفسك أخي المسلم مكان هذا الرَّجُل، وقد حِيلَ بَيْنَك وبَيْن الحركة والذَّهاب والإياب، ويَئِسَ مِنْك الأهل والأقارب والأصحاب، وأصبحتَ رهين الفراش لا تَقْوَى عَلَى التَّقَلُّبِ.. حتَّى تآكل اللَّحم والعظم، ثم تذكَّر نِعَمَ الله عليك، وَمَا مَنَّ الله به عَلَيْكَ مِنَ الصِّحَة والعَافِيَة...

اعلم أَنَّ هَذِه النِّعَم بَقَاؤُها مَرْهُون بالشُّكر:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ].

وشُكرُ هَذِه النِّعم يكونُ باستعمالها في مرضاة الله، وشهود الجُمَع والجَمَاعَات، وَصِلَةُ الأرحام والقَرَابَات، وغيرها من الطَّاعَات والقُرُبات[1].

قاعدة: النِّعِمُ إِذَا شُكِرَتْ زَادَتْ وَقَرَّتْ، وَإِذَا كُفِرَتْ زَالَتْ وفَرَّتْ.

---

(١) «رسالة عاجلة إلى جار المسجد وَمَنْ يسمع الأذان» (ص٥).

«الشُّكرُ يحفظُ النِّعَم المَوْجُودة، ويجلبُ النِّعم المفقودة، كَمَا أنَّ الكُفرَ يُنَفِّرُ النِّعَم المَفْقُودة، وَيُزِيلُ النِّعمَ المَوْجُودَة».(١)

أَخِي أَنَا أَعْلَمُ أنَّك تَعْلَمُ، ولَكِنْ أُذَكِّرُك: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ].

إنَّ الله سُبحانه وتَعَالى غَنيٌّ عَنْ عِبَادتِنا، لا تَنْفَعُه طاعةُ الطَّائِعِين وَلَا تَضرّه مَعْصِيةُ العَاصِين.

جَاء في الحَدِيثِ القُدسيّ:

«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»(٢).

قَال الإمَامُ ابن رَجَب الحَنْبَليّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هو إشارةٌ إلى أنَّ مُلكه لَا يزيدُ بطاعة الخَلْق، ولو كَانُوا كلُّهم بَرَرةً أتقياءَ، قُلُوبُهم عَلى قَلْب أَتْقَى رَجلٍ مِنْهم، ولا يَنْقُصُ مُلكُهُ بِمَعْصِية العَاصِين، وَلَوْ كَان الجِنُّ والإنسُ كُلُّهم عُصاةً فَجَرةً قُلوبُهم عَلَى قَلْبِ أفْجَرِ رجلٍ مِنْهُم، **فَإِنَّه**

(١) «تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان» (ص٨١).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

سُبْحَانه الغَنِيُّ بِذَاتِه عَمَّنْ سِوَاه، وَلَه الكَمَالُ المُطْلَق في ذَاتِه وَصِفَاتِه وَأَفْعَالِه، فَمُلكُهُ مُلكٌ كَاملٌ لَا نَقْص فِيه بِوَجْه مِنَ الوُجُوه عَلَى أَيِّ وَجْهٍ كَان»[١].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ**[٢]**وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ..**»[٣].

وَجَاءَ فِي الحَدِيث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «..**فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ..**»[٤].

وَقَدْ وَصَف الله تَعَالى المَلَائِكَة بِقَوْله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦**﴾[سُورَةُ التَّحۡرِيمِ].

فَهَذه أمثلةٌ يَسيرةٌ عَنْ خلقٍ مِنْ خلقه وَهُم الملائكةُ وَإِلَّا فَإِنَّ الله تَعَالى قَالَ: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا**

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٢٢٨).

(٢) «أطّ الأطيط الحنين والنقيض، والمعنى أنَّ كثرة ما فيها مِنَ الملائكة أثقلتها حتَّى أنقضتها، وهذا مثلٌ وإيذان بكثرة الملائكة» «النِّهاية في غريب الحديث والأثر» (ص٢٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٢١٥١٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٤٩).

(٤) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[سُورَةُ الإِسْرَاءِ].

قَالَ الإِمَامُ ابن كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أَيْ: وَمَا مِنْ شَيْء مِنَ المَخْلُوقَات إِلَّا يُسَبِّح بِحَمْدِ الله.

﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أَيْ: لَا تَفْقَهُون تَسْبِيحَهم أَيُّهَا النَّاس؛ لأَنَّها بِخِلَاف لُغَتِكُم.

وَهَذَا عَامٌ فِي الحَيَوَانَات، وَالنَّبَات، وَالجَمَاد..»[1].

وَلْيَحْذَر الإنسَانُ أَنْ يَكُون أَضَلَّ مِنَ الأَنْعَام إِذَا تَرَك عبادةَ المَلِك القدُّوس السَّلام جَلَّ جَلَالُهُ القائل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[سُورَةُ الفُرْقَانِ].

قال العلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَلَبهُم العقول والأسْمَاع وشبَّهَهُم في ضَلَالهم بالأنْعَام السَّائِمة الَّتِي لَا تَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً ونِدَاءً، صُمٌّ بكمٌ عُميٌ فهُمْ لا يَعْقِلون بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الأَنْعَام لِأَنَّ الأنعَام يَهْدِيها رَاعِيها فَتَهْتَدِي وتَعْرِفْ طَرِيق هَلَاكِهَا فَتَجْتَنِبُه، وَهِيَ أيضًا أَسْلمُ عَاقِبةٍ مِنْ هَؤُلَاء»[2].

وَقْفَة:

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ اسْتِقَامَتِك....فَانْظُرْ إِلَى حَالِكَ مَعَ صَلَاتِك..

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٧٩).

(٢) «تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان» (ص٥٨٤).

فَإِنَّ:

مِنْ عَلَامَةِ الاسْتِقَامَة.. الحِرْص عَلَى صَلَاة الجَمَاعَة قَبْلَ الإِقَامَة..

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ ﴿٨٤﴾﴾ [سُورَةُ طٰهٰ].

كَانَ السَّلَفُ رحمهم الله يَرَوْنَ مِنَ الإِجْرَام فَوَاتَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَام مَعَ الإِمَام، وَيَقُولُونَ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ فِي التَّكْبِيرَةِ الأُولَى فَاغْسِلْ يَدَكَ مِنْه»[1].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٦٢)، «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٥).

الوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ: هَلْ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ أَنْ يَمُوت؟

سُؤَالٌ وَأَيُّ سُؤَالٍ؟!

سَمِعْنَاه وَسَنَسْمَعُه كثيرًا؛ خَاصَّة كُلَّمَا أُخْبِرنَا بِوَفاةِ شابٍّ مِنَ الشَّبَاب، أَمَّا الإِجَابَة:

إِذَا قِيل: نَعَمْ، قيل: الحمدُ لله الرَّحيم الرَّحْمَن.

وإذا قيل: لا، قيل: الله المُسْتَعان، فَقَدْ حَلَّتْ الأَحْزَان..

فَكَيف لا يُحْزَن ويُخَاف عَلَيْه وَهُوَ قَادمٌ عَلَى أَمْرٍ مَهُول؟!

﴿فَإِذَا فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ المُدَّثِّر].

قال ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلُحَتْ صَلُحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِه وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهْ**»(١).

قال العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يَا أُمَّة مُحَمَّد ﷺ مَنْ مِنْكم عِنْده أَمَان مِنَ المَوْت حتَّى يَتُوب وَيُصَلِّي؟!

أليس كلُّ (واحد) مِنْكم يَخْشَى المَوْت وَلَا يدرِي أَيُصَبِّحه أَمْ يُمَسِّيه؟

ألمْ يكنْ المَوتُ يَأْخذُ النَّاس بَغْتَة وَهُمْ لا يَشْعُرُون؟

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٥٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

أَمَا هَجَمَ على أُنَاسٍ وَهُمْ في دُنْيَاهُم غَافِلُون؟

أَمَا بَغَتَ أُنَاسًا خَرجُوا مِنْ بُيُوتِهم، وَلَمْ يَرْجِعُوا؟

فَمَنْ مِنْكُم أُعطي أَمَانًا أَلَّا يَكُون حَالُه كَهَؤُلَاء؟

أَيُّها المُسْلِمُون، وَمَاذَا بَعْد هَذَا المَوْت الَّذِي لَا تَدْرُون مَتَى يَفْجؤكم؟

لَا شَيْءَ بَعْده سِوَى الجَزَاء عَلَى ما قدَّمْتُم إمَّا خَيْر، فَتُسَرُّون به، وإمَّا شرٌّ فَتَسْتاؤُون به، وتَنْدَمُون، فَإِنَّ الإِنْسَان إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُه، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الجَزَاء»[1].

تَفَكَّر رعاك الله في موقفِ يَوْم القِيَامة، تَفَكَّرْ في ذَلِك المَوْقِف فَإِنَّك وَاقِفُه - إي والله - مَوقفٌ عَصِيب، مَوْقفٌ مهيل، موقفٌ أتدري مَا مِقْدَاره؟

إنَّ مِقْدَارَه خَمْسُون أَلْف سَنة، يقفُ النَّاسُ يَوْمًا وَاحِدًا مِقْدَاره خَمْسُون أَلْفَ سَنة، بِمَاذا يُقَارن ذَلك اليَوْم؟ بِأَيَّامك في هذه الحَيَاة؟! لِنَفْرِضَ أنَّك عِشْتَ سِتِّين سَنَة، أو سَبْعِين سنة أو ثمانين سنة، أو أقلَّ مِنْ ذلك أو أكثر، ماذا تقارن تلك السَّنوات أو السُنيّات بذلك المَوْقِف العصيب؟

مَاذَا تُقَارَن تِلك السُنيّات بِيَوم مقداره خمسون ألف سنة؟!

ثُمَّ لَو كان عمرك على سبيل المثال: ستِّين سنة؛ فَقَدْ أَمْضَيْتَ ثُلُثَها في النَّوم؛ لأنَّك تَنَام في اليوم واللَّيلة تَقْرِيبًا ثَمَاني سَاعَات، وَالنَّائِم مَرْفُوع عنه القلم، فمن عاش ستين سنة فقد نام في حياته عِشْرين سنة، ومنها خمس عشرة سنة تقريبا في

(١) «الضِّياء اللَّامع مِنَ الخطب الجوامع» «ص٢٩٩».

أوَّلِ الحياة العبدُ فيها ليس مكلَّفًا؛ فماذا بقي لك في هذه الحياة من سنيَّات؟!

فاتَّقِ الله رعاك الله في هذه الصَّلاة، وحَافظْ على هَذَا المَوْقف بَيْنَ يَدَي الله جل وعلا، عَظِّم رعاك الله هذه الصَّلاة يَعْظُمُ أمرك عِنْدَ الله، وتعلو مكانتك عِنْده، وإيَّاك وإضاعتها؛ فَإِنَّ إضاعتها الخُسْران المبين[1].

فينبغي بل يجب عليَّ وعليك أَنْ نعدَّ للسُّؤال جوابًا، وللجواب صوابًا.

وفقنا الله وإياكم إلى سواء السبيل.

مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ:

«كأنَّك بِالمَوْت وقَدْ خَطَف، ثُمَّ عاد إلى الباقي وعَطَف، تَنَبَّه لِنَفْسِك يا ابن النُّطف، فَقَدْ حاذى الرَّامي الهَدَف، إلى كَمْ تسير في سرف، ليت هذا العزم وقف، **تُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ** ثم تسيئها كالبرق إذا خَطَف..يا مَنْ بَاعَ الدُّرَّ واشترى الخَزَف، أَبْسِط بِسَاط الحُزن على رَمَاد الأَسَف»[2].

أَبَــتْ نَفْسِــي تَتُــوبُ فَمَــا احْتِيَــالِي

إِذَا بَــرَزَ العِبَــادُ لِــذِي الجَــلَالِ

وَقَــامُوا مِــنْ قُبُــورِهِمْ سُــكَارَى

بِــأَوْزَارٍ كَأَمْثَــالِ الجِبَــالِ

---

(١) «تعظيم الصَّلاة» (ص ٣٢).

(٢) «المدهش» (ص٢٩٧).

وَقَــدْ نُصِــبَ الصِّــرَاطُ لِكَــيْ يَجُــوزُوا

فَمِــنْهُمْ مَــنْ يُكَــبُّ عَلَــى الشِّــمَالِ

وَمِــنْهُمْ مَــنْ يَسِــيرُ لِــدَارِ عَــدْنٍ

تَلَقَّــاهُ العَــرَائِسُ بِــالغَوَالِي

سُؤَالٌ!!

امْرَأَةٌ تَسْأَل:

أَبْنَائِي لَا يَقُومُونَ لِصَلَاةِ الفَجْر لِأَنَّ نَوْمَهُمْ ثَقِيل..

الجَوَاب:

لَو نَشَبَ حَرِيقٌ فِي البَيْتِ هَلْ تُوقِظِينَهُمْ؟!

المَرْأَةُ: نَعَمْ بِالطَّبْع!

إِذًا تَذَكَّرِي:

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ].

الوَقْفَةُ الرَّابِعَةُ: عِنْدَ التَّغْسِيل

أَتَدْرِي أَخِي الحَبِيب أنَّه عنْد تَغسِيل المَيِّت يُوَضَّأ؟

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُنَّ فِي غُسْلِ ابْنَتِهِ:

«**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا**»(١).

لقد تأمَّلتُ في هذا الموقف كثيرًا.. ودار في خاطري هذا السُؤَال: إذا لم يكن يُصلِّي ولَمْ يَتوضَّأ فَلِمَ يُوَضَّأ؟

لَقَدْ كان يَسْمعُ الأَذَان خَمس مرَّات في اليَوْم وَاللَّيْلَة وَمَا هَزَّه الشَّوق للوقوف بَيْن يَدَي الله..وما حَرَّكَه ذَهَابُ جموع النَّاس (الصِّغَار والكِبَار) إلى بيوتِ الله.. أَبَعْدَ أَنْ صَار جُثَّةً هَامِدَةً يُوَضَّأ؟

كَمْ مِن مرَّةٍ سَمِع المُؤَذِّن يَقُول: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْم»، فَأَجَابَه بِلِسَان الحَال: النَّوْمُ خَيْرٌ مِنَ الصَّلَاة وَانْقَلَب إِلَى الجَنب الآخَر..وَغَطَّى وَجْهَه وَنَام؟!..أَبَعْدَ أَنْ صَار جُثَّةً هَامِدَةً يُوَضَّأ؟

«الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْم» لأنَّ النَّومَ اسْتِجَابَة لِهَوَى النُّفُوس، وَالصَّلَاةُ اسْتِجَابَةٌ لِنِدَاء المَلِك القُدُّوس.

أَتَدْرِي مَا أَعْظَم وأكبر مَا يَتَمَنَّاه المَيِّت في قَبْرِه؟

---

(١) رواه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ على قبر دُفن حديثًا فقال: «**رَكْعَتَان خَفِيفَتَان مِمَّا تَحْقِرُون وتنفلون يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِه أَحَبَّ إِلَيْه مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ**»(١).

عَبْدَ الله: تَوَضَّأ قبل أن تُوَضَّأ..

تخيَّل نَفْسَكَ القَائِل:

كَـــأَنَّني بَـــينَ تلـــك الأَهـــلِ مُنطَرِحًـــا
عَلـــى الفِـــراشِ وَأَيْـــديهِمْ تُقَلِّبُنـــي
وَقَـــدْ أَتَـــوْا بِطَبيـــبٍ كَـــيْ يُعـــالِجَني
وَلَـــمْ أَرَ مِـــنْ طَبِيـــبِ اليـــوم يَنْفَعُنـــي
واشَـــتد نَزْعِـــي وَصَـــار المَـــوتُ يَجْـــذِبُها
مِـــن كُـــلّ عِـــرْقٍ بِـــلا رِفـــقٍ ولا هَـــوَنِ
واســـتَخْرَجَ الـــرُّوحَ مِنـــي في تَغَرْغُرِهـــا
وصَـــارَ في الحَلْـــقَ مُـــرًا حِـــينَ غَرْغَـــرَني
وَغَمَّضُـــوني وَراحَ الكُـــلُّ وانْصَـــرَفوا
بَعْـــدَ الإِيـــاسِ وَجَـــدُّوا في شِـــرَا كَفَنِـــي
وَقـــامَ مَـــنْ كـــانَ أَوْلَـــى النّـــاسِ في عَجَـــلٍ

(١) رواه ابن مبارك في الزهد (١٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥١٨).

نحـــــو المغســـــل يـــــأتيني يغســـــلني

وَقـــالَ يـــا قَـــوْمِ نَبْغِـــي غاسِـــلاً حَـــذِقًا

حُـــــرًا أَدِيْبًـــــا أَرِيبًـــــا عَارِفًـــــا فَطِنِـــــي

فَجـــــاءَني رَجُـــــلٌ مِـــــنْهُمْ فَجَـــــرَّدَني

مِـــــنَ الثِّيـــــابِ وَأَعْـــــرَاني وأَفْـــــرَدَني

واطَّرَحُـــــونِي عَلـــــى الأَلْـــــواحِ مُنْفَـــــرِدًا

وَصَـــــارَ فَـــــوْقي خَرِيـــــرُ المـــــاءِ يَنْظِفُنـــــي

وَأَسْـــــكَبَ المـــــاءَ مِـــــنْ فَـــــوقي وَغَسَّـــــلَني

غُسْـــــلاً ثَلاثـــــاً وَنَـــــادَى القَـــــوْمَ بِـــــالكَفَنِ

وَقَـــــدَّموني إِلـــــى المحـــــرابِ وانصَـــــرَفوا

خَلْـــــفَ الإِمَـــــامِ فَصَـــــلَّى ثُـــــمَّ وَدَّعَنـــــي

صَـــــلَّوْا عَلَـــــيَّ صَـــــلاةً لا رُكـــــوعَ لهـــــا

ولا سُـــــــجودَ لَعَـــــــلَّ اللهَ يَرْحَمُنـــــــي

أَخِي أَتَدْرِي أنَّ فيه مِنَ العُلَمَاء مَنْ قال أنَّ تَاركَ الصَّلاة إذا مَاتَ فإنَّه لا يُغَسَّل ولا يُكَفَّن، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، ولا يُدْفنُ في مقابرِ المُسْلِمِين!

ولا يُدْعى له بالرَّحمة والمَغْفِرة؛ لأنَّ التَّغسيل والتَّكفين والصَّلَاة عليه، والدَّفن في مَقَابِر المُسْلِمِين مِنَ الأحْكَام الخَاصَّة بالمُسْلِم دُونَ الكَافر؛ لوُرُود العَدِيد مِنَ الأدلَّة على كَفْرِ تَارِك الصَّلَاة:

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١).

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ**»(٢).

قال العلَّامة عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَدْ قَال بِكُفْر تَارك الصَّلَاة جَمَاعاتٌ كثيرةٌ مِنَ الفُقَهاء والمُحَدِّثِين سلفًا وخلفًا مُسْتَدِلِّين بِحَدِيثِ جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحَدِيث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّرِيحَين فِي كُفْره، وذَهَبَتْ جَمَاعَات أُخْرَى كَذَلِك إِلَى عَدَم كُفْرِه عَلَى عِظَم جُرْمه...

وَكَفَى زَاجِراً لِلْمَرْءِ عَنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ أَنْ يُخْتَلَفَ فِي إِيمَانِه هَذَا الاخْتِلَاف»(٣).

وَعَوْداً عَلى بدء، تَذَكَّر أَخِي دَائمًا وأبدًا أَنَّ الوُضُوءَ طَهَارَةٌ حِسِيَّةٌ ومَعْنَوِيَّةٌ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»(٤).

إِنَّ الوُضُوءَ لَيْس مُجَرَّد تنظيفٍ للأعضاء الظَّاهرة، وليسَ مُجَرَّد تَطْهِيرٍ للجسد يتوالى عدَّة مرَّات في اليَوْم، بَلْ إِنَّ الأَثَر النَّفْسِيّ والسُّمُو الرُّوحي الَّذِي يَشْعُر به

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنّسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٤).

(٢) رواه مسلم (٨٢).

(٣) «آثَارُ الإمام ابن بَادِيس» (١/ ٣١٢).

(٤) رواه مسلم (٢٤٥).

المُسْلِم بَعْد الوُضُوء لشيء أعمق مِنْ أَنْ تُعَبِّر عنْهُ الكَلِمَات، خاصَّة مَعَ إسباغ الوُضُوء وإتْقَانِه.

فللوضوء دَورٌ كبيرٌ في حياة المسلم، وهو يجعله دائمًا في يقظة وحيويَّة وتألُّق...

إِنَّ عملية غسل الأعضاء المُعَرَّضة دائمًا للأتربة مِنْ جسم الإنسان لاشكَّ أنَّها في مُنْتَهى الأَهَميَّة للصِّحة العامَّة، فأجزاء الجسم هذه تَتَعَرَّضُ طوال اليوم لِعَدَد هائل مِنَ المِيكْرُوبَات تُعَدُّ بالملايين في كُلِّ سم٣ مِنَ الهواء، وهي دائمًا في حالة هجوم على الجسم الإنساني مِنْ خِلَال الجلد في المَنَاطق المَكْشُوفة مِنْه، وعِنْد الوُضُوء تُفَاجأ هذه الميكروبات بحالة كَسْح شَاملة لها مِنْ فوق سطح الجِلد، خَاصَّة مَعَ التَّدْليك الجَيِّد وإِسْبَاغ الوضوء، وَهُو هدي الرَّسُول ﷺ.

- **غَسْلُ اليَدَيْن:**

مِنْ أَكْثَرِ أعضاء الجسم تَعَرُّضًا لنقْلِ الجراثيم اليَدَان والمِرْفَقَان، مثل: مصافحة الآخرين أو عند نقل طعامٍ ملوَّثٍ أو مواد كيميائيَّة أو صناعيَّة أو نقل القمامة والنّفيات الضَّارة أو لمس أشياء ملوَّثَة كما هو الحالة عِنْد قضاء الحاجة، فنُلَاحظ أَنَّ معظمَ الجراثيم تختبئُ تَحْتَ الأظافر وبَيْنَ الأَصَابع وخَاصَّة بُوَيْضَات الدِّيدان الخَيْطِيَّة والدَّبُوسيَّة (أكثريورس) الَّتِي يَصِلُ حجم بعضها نحو (١ أو ٠.٥ ملم).

وأهمَّ الأمراض الَّتِي تَنْتَقلُ عَنْ طريق اليَّدَين هي التيفويد والدوسنتاريا

والنزلات المَعَوِيَة والتهابات الكبد الفيروسيَّة.

- **المَضْمَضَةُ:**

أَثْبَتَ العِلمُ الحديثُ أَنَّ المَضْمَضَة تَحْفظُ الفَمَّ والبُلْعوم مِنَ الالتهابات، وَتَحْفَظُ اللَّثة مِنَ التقَيُّح، وكذا فَإِنَّها تَقِي الأَسْنَان وتُنَظِّفُها بإزالةِ الفَضَلَات الغِذائيَّة الَّتِي تبقى بعد الطعام في ثَنَايَاها، وفائدة أخرى هامَّة جدًّا للمَضْمَضة، فهي تُقَوِّي بَعْض عَضَلَات الوجه وتحفظُ للوجه نَضَارَته واستدارته، وهو تمرير هام يعرفه المُتَخَصِّصُون في التَّربية الرِيَاضيَّة، وهذا التَّمرين يفيدُ أيضًا في إضفاء الهدوء النَّفسِي على المَرْء لَوْ أَتْقَنَ تَحْريكَ عَضَلات فَمِه أثناء المَضْمَضَة.

- **غَسْلُ الأَنْفِ:**

أَظْهَرَ بحثٌ علميٌّ حَدِيث أجراهُ فريقٌ مِنْ أَطِبَّاء «جامعة الإسكندرية» أنَّ غَالَبِيَّة الَّذِين يتوضؤون باستمرار قَدْ بَدَا أَنْفُهم نظيفًا خاليًا مِنَ الأَتْرِبَة والجراثيم والميكروبات، ومِنَ المعروف أَنَّ تجويفَ الأنف مِنَ الأَمَاكن الَّتِي يتكاثرُ فيها العديدُ مِنْ هَذِه الميكروبات وَالجَرَاثيم، وَلَكِنْ مَعَ اسْتِمْرَار غَسْلِ الأَنْف والاستنشاق بقُوَّة - أَيْ طَرْد الماء مِنَ الأَنْف بِقُوَّة - يجعلُ هَذَا التَّجويف نظيفًا خاليًا مِنَ الالتهابات والجَرَاثيم، مِمَّا ينعكسُ عَلَى الحالة الصِّحيَّة للجسم كلِّه...

- **غَسْلُ الوَجْهِ وَاليَدَيْنِ:**

ولِغَسْلِ الوجه واليدين إلى المرفقين فَائِدةٌ كبيرةٌ جدًّا في إِزَالة الأَتْرِبة

والميكروبات فَضلًا عَنْ إزالة العَرَق مِنْ سطح الجِلْد، كَمَا أنَّه ينظِّفُ الجِلْد مِنَ المواد الدُّهْنِيَّة الَّتِي تَفْرِزُها الغُدَد الجِلْدِيَّة، وهَذِه تَكُون غالبًا موطنًا مُلائمًا جدًّا لمعيشة وتكاثُر الجَرَاثِيم.

- **غَسْلُ القَدَمَيْنِ:**

أمَّا غسلُ القَدَمَين مَعَ التَّدْلِيك الجيِّد، فإنَّه يؤدِّي إلى الشُّعور بِالهُدُوء والسَّكينة، لِمَا في الأَقْدَام مِنْ مُنْعكسات لأجهزةِ الجِسم كلِّه، وكأنَّ هَذَا الَّذِي يذهبُ ليتوضَّأ قد ذَهَبَ في نَفْس الوَقْت ليدلك كُلَّ أجهزةَ جِسْمِه على حِدَا بَيْنَما هُوَ يَغْسلُ قدميه بالماء ويدلكهما بعناية، وهذا مِنْ أسرار ذلك الشُّعور بالهدوء والسَّكينة الَّذِي يشعر به المسلم بعد أَنْ يَتَوَضَّأ[1].

وقفة:

عَجِبْتُ لِتَارِكِ الصَّلَاة كَيْفَ يَعِيشُ فِي هَذِه الحَيَاة؟!

وَيَرْجُو النَّجَاة فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ المَمَات!!

اجْعَلْ صَلَاتَكَ فِي بَرْنَامَجِ حَيَاتِكَ .. مِنَ الأَوْلَوِيَات وَلَيْسَتْ مِنَ الثَّانَوِيَات.

(١) «التَّداوي بالصَّلاة» (ص ٤٢).

الوَقْفَةُ الخَامِسَةُ: غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ

عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ، فَتَوَضَّأَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ...**»(١).

أخي أُنَاشِدُك بِالله أَنْ تُجِيبَنِي بِكلِّ صَرَاحَة، مَنْ لَمْ يكنْ يُصَلِّي أَيْنَ آثَارُ وُضُوئِه؟!

أَلَسْتَ مِنْ أمَّة محمَّد ﷺ؟ فَكَيف تُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَك النَّبِيُّ ﷺ وأنتَ لَمْ تَسْجدْ لله سَجْدةً،وَلَمْ تَمْتَثِل أَمْر رَبِّك وأَمْرَ نَبِيِّك ﷺ؟

أَمَّا تُؤَمِّلُ المَغْفرَة مِنَ الغَفُور؟!

أَمَّا تُؤَمِّلُ الرَّحْمَة مِنَ الرَّحِيم؟!

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»(٢).

إِنَّ المَعَاصِي وَالسَّيِّئَات قَاذُورَات تُلَوِّثُ القَلْب وَتُعَطِّلُ سَيْرَه إِلَى الله وَالدَّار الآخِرَة؛ فالوُضُوءُ جَمَع الطَّهَارتين البَدَنِيَّة وَالقَلْبِيَّة، وَصَدقَ رَسُولُ الله ﷺ لَمَّا

---

(١) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٥٧٩).

(٢) رواه مسلم (٢٤٥).

قَال: «**اِجْتَنِبُوا هَذِهِ اَلْقَاذُورَاتِ اَلَّتِي نَهَى اَللهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ بِهَا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اَللهِ تَعَالَى، وَلِيَتُبْ إِلَى اَللهِ تَعَالَى**»(١).

بَلْ اسْمَعْ أَخِي الحَبِيب هَذَا الحَدِيث الرَّهِيب الَّذِي رُوي عَنْ النَّبِيِّ الحَبِيب ﷺ حِينَ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْمـًا فَقَالَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَانـًا وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُوراً وَلاَ نَجَاةً وَلاَ بُرْهَانـًا، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**»(٢).

نُكْتَةٌ بَدِيعَةٌ:

تَارِكُ المُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلاة إمَّا أَنْ يَشْغُله مَالُه، أو مُلْكُه، أو رِئَاسَتُه، أو تجارتُه؛ فَمَنْ شغله عَنْهَا مَالُه فهو مَعَ قَارُون، وَمَنْ شغله عَنْهَا ملكه فهو مع فرعون، وَمَنْ شغله عنها رئاسته فهو مع هامان، وَمَنْ شغله عَنْهَا تجارته وأمواله فهو مع أُبَيِّ بن خلف(٣).

قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..**».

نَعَمْ إِنَّها أمَّتُه..فَهَلْ يُتَصَوَّر أَنَّ مِنْ أُمَّتِه مَنْ يُفَرِّطُ في أَعْظَم وَآكَد الوَاجِبَات؟! إنَّ هذا لأمرٌ عُجَاب(٤)..

---

(١) رواه الحاكم (٨١٥٨)، والبيهقي (١٧٣٧٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩).

(٢) رواه أحمد (٦٥٤٠)، والدارمي (٢٧٧٧)، والحديث ضعَّفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣١٢).

(٣) «الصَّلاة وحكم تاركها» (ص٢٢)، وانظر: «تعظيم الصَّلاة» (ص ٢٥).

(٤) مسألة الحكم على تارك الصَّلاة ممَّا اختلف فيها أهل العلم قديمًا وحديثًا:

مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ:

فَقَدِّمُوا عِبَادَ الله فِي اليَسِيرِ مِنَ الأَيَّام، مَا يَقِيكُم الأَهْوَال العِظَام، والخُطُوب الجِسَام، والزَلَازِل والطَّوام، والعَذَاب الغَرَام، فإنَّ العُمُر يَسِير، والأجَل قَصِير، والزَّاد قَلِيل، والهَوْل جَلِيل، والعَذَاب طَوِيل، واليَوْم مَهُول ثَقِيل،فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُون عَلَى مَنْ قَطَع أَيَّامَه فِي العِصْيان، واسْتبدَل الجَنَّة بالنِّيرَان، والرِّبح بِالخُسْران، وَتَرَك العِزَّ ورَضِيَ بِالهَوَان...فَفَكِّر فِيمَا تَسْمَع أَيُّها الإِنْسَان، وَأَنَا وَأَنْتَ وَكُلُّنا ذَلِكَ الإِنْسَان.

وأنشدوا:

مَقَـــامُ المُـــذْنِبِينَ غَـــدًا ذَلِيـــلُ

وَقَـــدْرُ الطَّـــائِعِينَ غَـــدًا جَلِيـــلُ

قال الإمام النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا تارك الصَّلاة فإنْ كَانَ مُنْكِرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملَّة الإسلام إلَّا أنْ يكون قريب عهد بالإسلام ولمْ يخالطْ المسلمين مدَّةً يبلغه فيها وجوب الصَّلاة عليه، وإن كان تَرْكُهُ تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من النَّاس، فقد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير مِنَ السَّلف والخلف إلى أنَّه لا يُكَفَّر بَلْ يُفَسَّق ويُسْتَتَاب، فإنْ تاب وإلَّا قتلناه حَدًّا كالزَّاني المحصن ولكنَّه يقتل بالسَّيْف.

وذهب جماعة مِنَ السَّلف إلى أنَّه يكفر، وهو مروي عَنْ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو إحدى الروايتين عنْ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشَّافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة مِنْ أهل الكوفة والمزني صاحب الشَّافعي رحمهما الله أنَّه لا يُكفَّر ولا يقتل بل يُعَزَّر ويُحبس حتَّى يُصَلِّي» «شرح صحيح مسلم(٢/ ٥٧)».

إِذَا مُـــدَّ الصِّـــرَاطُ عَلَـــى جَحِـــيمٍ

تَصُـــولُ عَلَـــى العُصَـــاةِ وَتَسْـــتَطِيلُ

وَنَـــادَى مَالِكًـــا خُـــذْ مَـــنْ عَصَـــانِي

فَـــإِنِّي اليَـــوْمَ لَسْـــتُ لَهُـــمْ أُقِيـــلُ[1]

لقد كانتْ الصَّلاة قُرَّة عَيْن النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ قَالَ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ**»[2].

قَالَ الإمامُ المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَوْ لَمْ يَسْتَدلّ المُؤْمن عَلَى أَنَّ الصَّلاة أحبّ الأعمال إلى الله إلَّا بمَا ألزم قلب حبيبه المُصْطَفى مُحمَّد ﷺ مِنْ حُبِّ الصَّلاة وَجَعل قُرَّة عينه فِيهَا دُونَ سَائِر الأعمال كلّها، وَإِنْ كان ﷺ مُحبًّا لجميع الطَّاعات، وَلَكِنَّه خَصَّ الصَّلَاة فَأَخْبَر أَنَّ قرَّة عينه جُعِلَت في الصَّلاة لربِّه لكفاه بذلك دليلًا»[3].

---

(١) «بستان الواعظين ورياض السَّامعين» (ص٤٧).

(٢) رواه النسائي (٣٩٣٩)، وأحمد (١١٨٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

(٣) «تعظيم قدر الصَّلاة» (١/ ٣٣١).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وممَّا ينبغي أن يُعلم أنَّ الصَّلاة الَّتِي تقر بها العين ويستريح بها القلب هي التي تَجْمَعُ ستَّة مشاهد:

المَشْهَدُ الأَوَّلُ: الإِخْلَاصُ: وهو أنْ يكون الحامل عليها والدَّاعي إليها رغبة العبد في الله ومحبّته له، وطلب مرضاته والقرب منه، والتودُّد إليه وامتثال أمره، بحيث لَا يكون الباعث له عليها حظًّا مِنْ حظوظِ الدُّنيا ألبتة، بلْ يأتي بها ابتغاء وجه ربِّه الأعلى محبَّة له، وخوفًا مِنْ عذابه، ورجاء لمغفرته

وثوابه.

المَشْهَدُ الثَّانِي: مشهد الصِّدق والنُّصح: وهُوَ أنْ يفرغ قلبه لله فيها ويستفرغ جهده في إقباله فيها على الله، وجمع قلبه عليها، وإيقاعها على أحسن الوجوه وأكملها ظاهرًا وباطنًا، فإنَّ الصَّلاة لها ظاهر وباطن...

المَشْهَدُ الثَّالِثُ: مَشهدُ المُتَابَعةُ والاقْتِدَاء: وهو أَنْ يحرص كلَّ الحرص على الاقتداء في صلاته بالنَّبِيِّ ﷺ ويصلِّي كما كان يصلِّي، ويعرض عمَّا أحدث النَّاس في الصَّلاة مِنَ الزيادة والنُّقصان والأوضاع الَّتِي لم ينقلْ عن رسول الله ﷺ شيء مِنْهَا ولا عَنْ أحدٍ من أصحابه رضي الله عنهم..

المَشْهَدُ الرَّابِعُ: مَشْهَدُ الإِحْسَان: وهو مشهدُ المُرَاقبة؛ وهو أنْ يعبد الله كأنَّه يراه، وهذا المشهد إنَّما ينشأُ مِنْ كَمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته حتَّى كأنَّه يرى الله سبحانه فوق سمواته مستويًا على عرشه،يتكلَّم بأمره ونهيه، ويدبِّر أمر الخليقة، فينزل الأمر مِنْ عنده، ويصعد إليه، وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه، فيشهد ذلك كلَّه بقلبه ويشهد أسماءه وصفاته، ويشهد قيُّومًا حيًّا سميعًا بصيرًا عزيزًا حكيمًا، آمرًا ناهيًا يحبُّ ويبغض، ويرضى ويغضب، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيء مِنْ أعمال العباد ولا أقوالهم ولا بواطنهم، بلْ يعلمُ خائنة الأعين وما تُخْفِي الصُّدُور..

المَشْهَدُ الخَامِسُ: مَشْهَد المِنَّة: وهو أن يشهد أنَّ المنَّة لله سبحانه كونه أقامه في هذا المقام وأهله له، ووفَّقَهُ لقيام قلبه وبدنه في خدمته، فلولا الله سبحانه لمْ يكن شيء مِنْ ذلك، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يحدون بين يدي النَّبِيِّ ﷺ فيقولون:

وَالله لَـــــوْلَا الله مَـــــا اهْتَـــــدَيْنَا وَلَا تَصَـــــــــدَّقْنَا وَلَا صَـــــــــلَّيْنَا

المَشْهَدُ السَّادِسُ: مَشْهَدُ التَّقْصِير: وأنَّ العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد، وَبَذَلَ وسعه فهو مقصِّر، وحق الله سبحانه عليه أعظم، والَّذِي ينبغي له أَنْ يقابل به مِنَ الطَّاعَة والعبودية والخدمة فوق ذلك بكثير، وأنَّ عظمته وجلاله سبحانه يقتضي مِنَ العبوديَّة ما يليق بها.. » « رسالة الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أحد إخوانه » (ص٣٤) / باختصار.

كمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَرْشَد الصَّحابيَّ رَبِيعَة بن كَعْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الصَّلاة لمَّا سأله مرافقته في الجنَّة[1]، فَبِإقامة الصَّلاة - بعد فضل الله - مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الحَوْضِ، ومَعَه في الجنَّة بِإذن الله، فَأَكْرِم به مِنْ فَضْل، وَأَكْرِم بِهِ مِنْ جَزَاءٍ.

تَأَمَّلْ:

«لِلْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ الله مَوْقِفَان:

١/ مَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاة.

٢/ وَمَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِهِ.

فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ المَوْقِفِ الأَوَّل هُوِّنَ عَلَيْهِ المَوْقِفَ الآخَر.

وَمَنْ اسْتَهَانَ بِهَذَا المَوْقِف وَلَمْ يُوَفِّه حَقَّه شُدِّدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ المَوْقِف،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلًا ٢٧﴾ [الإنسان]»[2].

(١) رواه مسلم (٤٨٩).

(٢) «الفوائد» (ص٢١١).

الوَقْفَةُ السَّادِسَةُ: لَوْ رَآكَ النَّبِيُّ ﷺ

محمَّدٌ رسولُ الله ﷺ كَانَ حَرِيصًا عَلَى أُمَّته[1]، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ].

بَلْ كان ﷺ يشتاقُ لرؤية أُمَّتِه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**».

قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**».

فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ**

---

(١) كان الصَّحابيُّ الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا دَخَل عليه الرَّبيع بن خثيم رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَأْذَنُ لِأحدٍ حَتَّى يَفْرغَ كلُّ واحدٍ مِنْ صَاحِبه.

وَكَانَ يَقُولُ لَه: «يَا أَبَا يَزِيد، **لَوْ رَآكَ رَسُولُ الله ﷺ لَأَحَبَّك**، وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتُ المُخْبِتِين» «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٨٥).

يَعْرِفُ خَيْلَهُ».

قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ.**

فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا»[1].

فتأمَّل أَخِي لَوْ رَآك النَّبيُّ ﷺ أَكَان يُرْضِيه فِعْلك وَقَوْلك؟

يَا أُمَّة مُحَمَّد ﷺ لَقَدْ ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بكلِّ مَا يملكُ فِي سَبِيل نَشْرِ دينِه الَّذِي أُمِر بِتَبْلِيغه لأمَّته، وعَاشَ طِوَال أيَّامِه ولَيَالِيه يَمْشِي عَلَى شَوْكِ الأَسَى، وَيَخْطُو

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩).

قال العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضَرَب (ﷺ) مَثَلًا برجلٍ لَه خيلٌ «غُرٌّ»يَعْنِي فيهَا بياضٌ في رَأْسِها وَ «مُحجَّلة» بياضٌ في أرجلِها مع خيل «دُهْم» يعني سودٌ ليسَ فيهَا أي غرَّة هل يشتبهُ عليه هذَا بهذَا ؟

قالوا: لا، قال: فإنَّكم تأتون يوم القيامة «غُرًّا محجَّلين» يَعْني مِنْ أثَرِ الوُضُوء، فَفِي هذا دليلٌ على فضيلةِ الوُضُوء، وأنَّ هذه الأمَّة يأتُون يوم القيامة وهم غُرٌّ مُحَجَّلون مِنْ أثرِ الوُضُوءِ، غُرٌّ يَعْنِي بِيض الوُجُوه، مُحَجَّلُون يعنِي بيضُ الأرجُلِ وَالأَيْدِي، وَهَذَا البَيَاض بَيَاضُ نُورٍ وَإِضَاءَةٍ يعرفُهُم النَّاس يومَ القِيَامة في هذا اليومِ المَشْهود العَظِيم، تُعرفُ أمَّةُ هذا النَّبيِّ الكريم بهذه السِّيما والعلامة الَّتِي ليستْ لغيرهم.

أسأل الله تعالى بمنِّه وكرمه أنْ يحشرني وإيَّاكم على هذا الوجه، وأنْ يجعلنَا مِنْ أمَّتِه ظاهرًا وباطنًا إنَّه على كلِّ شيء قَدِير» «شرح رياض الصَّالحين» (٣/ ٢٢١).

عَلَى جَمْر الكَيْد وَالعَنَت، يَلْتَمسُ الطَّريق لِهِدَاية الضَّالِين وَإِرْشَادِ الحَائِرين..

أَبَعْدَ هَذَا يُوجَدُ في أمَّتِه ﷺ مَنْ صلاته ضيَّعها أو تَرَكَها أو أخَّرها؟!(١)

فالصَّلَاة وما أدراك ما الصَّلَاة؟! ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

إِنَّهَا أجملُ الأوقات وأروعُ اللَّحَظات.. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ

---

(١) قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا بعضَ ابتلاءات النَّبِيِّ ﷺ:

«هذا سيِّدُ الرُّسُل ﷺ يُبْعث إلى الخلق وحده، والكُفرُ قد ملأ الآفاق، فَجَعَلَ يفرُّ منْ مكان إلى مكان، واستتر في دار الخيزران، وهم يَضْرِبُونه إذا خرج، ويُدْمون عقبه وشق السلى على ظهره وهو ساكت ساكن.

ويخرج كل موسم فيقول: «**مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي**» ؟.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مكَّة فلمْ يَقْدِر عَلَى العود إلاَّ في جوار كافر... ثم يُبْتَلى بالجُوع فَيَشُدّ الحَجَر، ولله خَزِائِنُ السَّمَوَات وَالأَرْض.

ويُقتل أصحابُه، ويُشَجُّ وجهُه، وتُكْسَر رباعيتُه، ويُمَثَّل بعمِّه وهو ساكت ثم يرزق ابنًا ويسلبُ منه فيتعلَّل بالحسن والحسين فَيُخبرُ بما سيجري عليهما.

ويسكنُ بالطبع إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فينغصُ عيشُه بقذفها.

ويبالغ في إظهار المعجزات فيقام في وجهه مسيلمة والعنسي وابن صياد.

ويقيمُ ناموس الأمانة والصدق، فيقال: كذَّابٌ ساحرٌ.

ثم يوعكه المرضُ كما يوعكُ رجلان وهو ساكنٌ ساكتٌ...

ثم يُشَدَّدُ عليه الموت، فيُسْلب روحه الشريفة وهو مضطجع في كساء ملبّد وإزار غليظ، وليس عندهم زيت يوقد به المصباح..» «صيد الخاطر» (ص٢٠٩).

ٱلزَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَة].

إِنَّهَا العبودية لربِّ البريَّة..﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَة].

إِنَّهَا العبادة بالذِّكر والدُّعاء، والذلِّ والثَّناء..خشوعٌ وخضوع.. سجودٌ وركوع.

بالصَّلَاة يُنَال رِضَا الرَّحْمَن..واتباعٌ لِطَرِيقِ مُحَمَّد وَلَد عَدْنَان ﷺ..

مِنْ أعظم أسباب رَحيل الأَحْزَان، وتمزيق حِبَال الأَشْجَان، وفي الجُمَع والجَمَاعات لقاء للإخوان والخِلَّان..

وتعلُّق القَلْب بِالكَرِيم المنَّان ﷻ...

أَتَعْرف أَخِي مَا آخِر وصيَّةٍ أَوْصَى بِهَا الرَّسُول ﷺ أمَّتَهُ؟

هلْ سألتَ نَفْسَكَ مرَّة واحدةً فَقَطْ هذا السُّؤال؟

الجَوَابُ:

عَنْ عَلِي رضي الله عنه قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»(١)

«الصَّلَاة الصَّلَاة»؛ وَصِيَّةُ نَبيِّكم ﷺ وهي مِنْ آخر ما سُمِع مِنْه ﷺ ، فيَا أيُّها

(١) رواه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وأحمد (٥٥٦)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦١٦).

المُحبُّون للنَّبِيِّ ﷺ الصَّلَاة الصَّلَاة؛ فهي وصيَّتُه لكم وعهدُه إِلَيْكُم..[1]

فهلْ تَمْتَثِلُون، وللصَّلاة تُقِيمُون؟

هذا الرَّجاءُ والأمل، وعلينا الإخلاص والعمل..

مَوْقِفٌ مُؤَثِّرٌ جِدًّا:

إنَّه موقفٌ عَظيم: القَلْبُ لَهُ يَتَشَقَّق، والدَّمعُ له يُدْفَق، فَعِش مَعِي هَذِه اللَّحَظَات..

عَنْ أَنَسٍ بن مَالِكٍ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاِثْنَيْنِ **وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ،** فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهْوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، **ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ،** فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِي ﷺ، فَنكَصَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاَةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، فَتُوُفِّي مِنْ يَوْمِهِ»[2].

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«(**كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ**): عِبَارةٌ عَنْ الجَمَال البَارِع وَحُسْنِ البَشْرَة وَصَفَاءِ الوَجْه وَاسْتِنَارَتِه..

قَوْلُه: (**ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُول الله ﷺ ضَاحِكًا**) سَبَبُ تَبَسُّمِه ﷺ فَرَحُه بِمَا رَأَى مِنْ

---

(١) «تعظيم الصَّلاة» (ص ١٨).

(٢) رواه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

اجْتِمَاعِهم عَلَى الصَّلاة، واتِّبَاعهم لإِمَامِهِم، وَإِقَامَتِهم شَرِيعَته، واتِّفَاق كَلِمَتِهم، وَاجْتِمَاع قُلُوبِهم، ولِهَذا اسْتَنَار وَجْهُه ﷺ عَلَى عَادَتِه إِذَا رَأَى أَوْ سَمِعَ مَا يَسُرُّه يَسْتَنِيرُ وَجْهُه»[1].

الصَّلَاةُ.. وَخُرُوجُ المَسِيحِ الدَّجَّال:

إنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم هُمْ خير النَّاس بَعْدَ الأَنْبِيَاء عليهم السلام، تخرَّجُوا مِنْ مَدْرَسَة مُحَمَّدٍ ﷺ.

ومِنْ صِفَاتهم أنَّهم كانُوا جِدُّ حَرِيصِين عَلَى الصَّلاة حَتَّى فِي أَعْظَمِ المَوَاقِفِ وَأَشَدِّ الفِتَن وَالقَلَاقِل:

ذَكَر النَّبِيُّ ﷺ مَرَّة للصَّحَابة شَيْئًا مِنْ أَخبارِ المَسِيح الدَّجَّال فَسَأَلُوه:

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟

قَالَ: «لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»[2].

---

(١) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (٤/ ١٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

معنى: «**لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»:

«إذا مَضَى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظُّهر كلَّ يوم فصلُّوا الظُّهر ثمَّ إذَا مَضَى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلُّوا العصر، وإذا مَضَى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب

الصَّلَاةُ حَيَاة وَفَوَاتُهَا مُصِيبَة:

قَالَ حَاتِم الأَصَمّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَاتَتَنِي الصَّلاة في الجَمَاعَة فَعَزَّانِي أَبُو إِسْحَاق البُخَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَحْده، وَلَوْ مَاتَ لِي وَلَدٌ لَعَزَّانِي أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ آلَاف؛ لِأَنَّ مُصِيبَة الدِّينِ أَهْونُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ مُصِيبَةِ الدُّنْيَا»[1].

فصلُّوا المغرب، وكذا العشاء والصُّبح ثمَّ الظُّهر ثمَّ العصر ثمَّ المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلُّها مؤدَّاة في وقتها.

وأمَّا الثَّاني الَّذِي كَشَهْر وَالثَّالِث الَّذِي كَجُمُعَة فَقِيَاس اليَوْم الأوَّل أَنْ يقدِّر لَهُمَا كَاليَوْم الأوَّل عَلَى مَا ذَكَرْنَاه، وَالله أَعْلَم» «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (١٨/ ٦٦).

(١) «المستطرف» (١/ ١٠).

الوَقْفَةُ السَّابِعَةُ: لِمَاذَا لَا تُصَلِّي؟

أَيُّهَا الأَخُ الحَبِيب أَمَا سَأَلْتَ نَفْسَكَ هَذَا السُّؤَال؟

لِمَاذَا كُلُّ هَذَا العَدَد مِنَ المُصَلِّين، وَأَنَا لَمْ أُوَفَّق للسُّجُودِ لِرَبِّ العَالَمِين؟

مَا عُذْري أَمَام الله غَدًا؟

وَاعْلَم أَنَّ أَوَّل خُطوَات الفَشل تَرْكُ الصَّلَاة...

تَركُ الصَّلاة هَزِيمةٌ كَبِيرةٌ أَمَام الشَّيطَان، الهَوَى، النَّفْس..وإقامتُها قوَّة وانتصار أَمَام كُلِّ هؤلاءِ..

أَتَدْرِي كَمْ تَأْخُذ مِنْك الصَّلَوَات المَفْرُوضَة مِنَ الوَقْتِ فِي اليَوْم واللَّيْلَة؟

أَجْزِمُ يقينا لَنْ تتجاوزَ **٢٠ دقيقة**.

الله أكبر! ما أقصرها مِنْ مُدَّة! وما أقلَّه مِنْ وَقْت!

فِي زَمَنٍ ضَاعَتْ فِيهِ الأَوْقَات بَلْ والسَّاعَات.. بَيْن مُزَاحٍ ومُبَاح.. وَإِجْرَام وَحَرَام.. مُغْرِيَات.. وَمُسَلْسَلَات.. وَمُبَارَيَات..

اليَوْمُ فيه: ١٤٤٠ دقيقة؛ بمعنى أَنَّ الصَّلاة تَأْخُذُ ٧٢/ ١ مِنَ اليوم!!

أَتَدْرِي أَنَّ الصَّلَاة هِيَ العِبَادةُ الوَحيدةُ الَّتِي لا يُعْذَرُ تاركُها، «بَلْ أَوْجَبَهَا الله عَلَى كُلِّ حال، وَلَمْ يعذر بها مريضًا، وَلَا خائفًا، وَلَا مسافرًا، وَلَا غير ذلك؛ بَلْ وَقَع التَّخْفيفُ تَارةً فِي شُرُوطِها، وَتَارةً فِي عَدَدِها، وتَارةً فِي أَفْعَالِها، وَلَمْ تَسْقطْ

مَعَ ثَبات العَقل»[1]، فالصِّيامُ يَسْقُط عَنْ المَرِيض والحَائض والكَبِير الَّذِي لَا يَسْتَطِيعه...

الزَّكَاة لَا تَجِبُ فِي حَقِّ الفَقِير وَالمِسْكِين..بَلْ لَا تَجِبُ حتَّى يَتَحَقَّق بُلُوغ النِّصَاب وَحَوَلَان الحَوْل..

الحَـجُّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٩٧].

أمَّا الصَّلَاة فَلَا تَسْقُط إلاَّ عَلَى الحَائِضِ وَالنُّفَسَاء أيَّامًا فَقَط..

المَرِيضُ وفاقِدُ المَاءِ يَتَيَمَّم..إنْ لـمْ يستطعْ التَّيمُّم يُصَلِّي عَلَى حالِه (فَاقِدُ الطَّهُورَيْن)..

المَرِيضُ إنْ لَـمْ يستطعْ الصَّلاة قائمًا صلَّى جالسًا فَإنْ لَـمْ يَسْتَطع فَعَلَى جنب...

المُسَافِرُ عليه شَطْر الصَّلاة.. ولا يَتْرُكُها، ولَهُ الجَمْع..

وغيرها مِنَ المسائل الَّتِي تجدُها مبثوثة في كتب الفقه، وإنَّمَا أردتُ أَنْ أُنَبِّهك إلى أنَّ الصَّلاة لا تسقط أبدًا مادام فيه عقل..فكيف تُسْقِطُها عَلَى نَفْسِك؟

قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يَخْتَلِفُ المسلمون أنَّ ترك الصَّلاة المفروضة عمدًا **مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوب، وَأَكْبَرِ الكَبَائِر**، وأنَّ إثمَه عِنْدَ الله أعظم مِنْ إِثْم قَتْل النَّفس، وَأَخْذِ الأَمْوَال، وَمِنْ إِثْمِ الزِّنَا والسَّرقة، وَشُرْب الخَمْر، وَأنَّه مُتَعرِّضٌ

(١) «صَلَاةُ المُؤْمِن» (ص ١١٢).

لِعُقُوبَة الله وسَخَطِه وخِزْيه فِي الدُّنيا والآخرة »[1].

إنَّ الكَثِيرَ مِنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنا، وَأَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا، وَعَمَّاتِنَا وَخَالَاتِنَا...

لِلْصَّلَاة لَا يُؤَدُّون، وَبَعْضُهُم بِهَا يَتَهَاوَنُون، فَلِمَاذَا هَذَا القُصُور وَالتَّقْصِير؟

الجَوَابُ لِمَنْ تأَمَّلَهُ مَفْهُوم مَعْلُوم:

لِأَنَّهُم لَمْ يَذُوقُوا حَلَاوَتَها، ولم يَتَمَتَّعُوا بلذَّتها، وَأَكْبَرُ مِنْ هذا كلِّه أَنَّهُم لَمْ يَفْهَمُوا أو لَمْ يُرِيدُوا أنْ يَفْهَمُوا لِمَا فُرِضَتْ؟

ولِأَجْل مَنْ كُتِبَتْ؟

فَظَنَّ بعضهم أَنَّها عُقُوبة رَبَانيَّة، أَوْ مَشَقَّة بَدَنيَّة..

كَلَّا وَرَبِّي!

إِنَّهَا منَّةٌ ومِنْحَةٌ ورَحْمَةٌ.. ﴿**وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾**﴾[**سُورَةُ البَقَرَة**].

إِنَّهَا المَاءُ الزُّلَال الَّذِي يَرْوِي ظَمَأَ العَطْشَى، وَالنُّورُ الَّذِي يَهْدِي الحَيارَى فِي دَيْجُور الضَّلَال.

إِنَّهَا النَّهْرُ الجَارِي الَّذِي يَغْسِلُ الأَدْرَان.. وَيُقَوِّي الإِيمَان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟**» قَالُوا لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا.

---

(١) «الصَّلاة وحكم تاركها» (ص٢٩).

قَالَ: «**فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللهُ بِهَا الْخَطَايَا**»[1].

وَأَزِيدُك أَخِي الحَبِيب أَمْرًا لَعَلَّه يخفَى عَلَيْك وهو أنَّ العَدِيد مِنَ الأطبَّاء أَثْبَتُوا فَوَائد عديدة للصَّلَاة، نَذْكُرُ بَعْضَها:

«هي الدَّواء النَّاجعُ، والشِّفَاءُ الربَّاني لِكُلِّ أَمْرَاض الدُّنْيَا البَدَنِيَّة، والعُضْوِيَّة، والنَّفْسِيَّة، والعَصَبِيَّة، وفِيهَا الوِقَاية مِنْ حُدُوث كُلِّ هَذه الأَمْرَاض، ومَنْع الأَذَى، فَفِي عَمَلِيَّة الصَّلَاة تَتَحَرَّك كُلُّ عَضَلَةٍ مِنْ عَضَلَات الجِسْم صَغُرَت أم كَبُرَت، وفِي هَذَا صِيَانَة لَهَا وتدريبٌ لتقويتَهَا...

فَجِسْمُ الإنْسَانِ يتكَّون مِنْ عِظَامٍ وَمَفَاصِلَ وَعَضَلَاتٍ وشَرَايِين وَأَوْرِدَة وَأَعْصَاب..وكلُّها تَحْتَاجُ إِلَى تَزْيِيت وَتَشْحِيم كُلَّ يومٍ بِالحِرَاك لأنَّ الرَّاحة التَّامة والنَّوم يصيبها بالكسل والملل وعدم الكفاءة، وفي ظروف أخرى تتطلب مجهودًا أكبر، ولعلَّ جلطة السَّاقين الوريدية أو بعض آلام الظَّهر تأتي الأَفْراد الَّذِين يُؤْثِرُون الرَّاحَة التَّامَّة..»[2].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصَّلَاةُ مجلبةٌ للرِّزق، حافظةٌ للصِّحة، دَافِعَةٌ للأذى، مطردةٌ لـلأَدواء، مقوِّيةٌ للقَلْب، مبيِّضةٌ للوَجْه، مُفْرِحةٌ للنَّفس، مُذهبةٌ للكسل، منشِّطَةٌ للجَوَارح، ممدَّة للقُوَى، شَارِحَةٌ للصَّدر، مغذِّيةٌ للرُّوح، مُنوِّرة لِلْقَلب، حَافِظَةٌ للنِّعْمة، دَافعةٌ للنِّقمَة، جَالِبَةٌ للبركة، مُبعِدةٌ من الشيطان، مُقرِّبة

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٢) «التَّداوي بالصَّلاة» (ص ٨٧).

مِنَ الرَّحْمَن.

وَبِالجُمْلَة.. فَلَهَا تأثيرٌ عجيبٌ في حِفْظِ صِحَّةِ البَدَن وَالقَلْب، وقواهما، ودفع المواد الرَّديئة عنهما، وما ابتُلى رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو مِحنةٍ أو بَليةٍ إلَّا كَانَ حَظُّ المُصَلِّي مِنْهُما أَقَلَّ، وعاقبتُه أَسلَم.

وللصّلَاة تَأْثيرٌ عَجِيب فِي دَفْع شُرُور الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّما إذا أُعْطِيَت حقَّها مِنَ التَّكْمِيل ظَاهراً وَبَاطناً، فمَا استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا وَالآخِرَة، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصَّلَاة، وسِرُّ ذلك أنَّ الصَّلاة صِلةٌ باللهِ عَزَّ وجَلَّ، وعَلَى قدر صِلَةِ العبد بربِّه عَزَّ وجَلَّ تُفتح عليه مِنَ الخَيْرَات أبوابَها، وتُقطعُ عنه مِنَ الشُّرُور أَسْبَابَها، وتُفِيضُ عَلَيْه مَوَادَ التَّوْفِيق مِنَ ربِّه عَزَّ وجَلَّ، والعافية والصِّحَة، والغنيمة والغِنَى، والرَّاحة والنَّعِيم، والأفراح والمَسَرَّات، كلها محضرةٌ لَدَيْه، وَمُسَارِعةٌ إِلَيْه»[1].

وبعد هذا التَّوْضِيح الصَّرِيح، والبَيَان البَيِّن أقول: ﴿ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[سُورَةُ يسٓ].

وَقْفَةٌ:

«إِنَّ الصَّلَاةَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ سَيِّئَاتِ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا وَأَكْمَلَ خُشُوعَهَا وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَي الله تَعَالى بِقَلْبِه وَقَالِبِه»[2].

---

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٣٣٢).

(٢) «الوَابِل الصّيب» (ص ٥٢).

الوَقْفَةُ الثَّامِنَةُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاة، حَيَّ عَلَى الفَلَاح

أَخِي الحَبِيب أَلَا تُرِيدُ النَّجَاحَ وَالفَلَاح؟!

هَا هِيَ الدَّعوة تُزَفُّ إليك خَمْسَ مرَّات فِي اليَوْم، فمَا هَذَا الإِصْرَار؟! أَمْ أَنَّه الاسْتِكْبَار؟!

وَأَحْلَاهُما مرٌّ.

لَقَدْ كَان الصَّالحُون المُصْلحون لا يتحمَّلُون سَمَاع نِدَاء الرَّحْمَن وَلَا يُجِيبُون ولا يُلَبُّون، بَلْ يتحامَلُون ولَوْ كَانُوا مَرْضَى لَا يَقْوون، وَلِلْأَذَى لَا يَقَاوِمُون.

سَمِع عَامِر بن عَبْد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المُؤَذِّنَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِه وَمَنْزِلُه قَرِيبٌ مِنَ المَسْجِد قال: خُذُوا بِيَدي.

فَقِيلَ لَه: إنَّك عَلِيل.

فَقَالَ: أَسْمَعُ دَاعِي الله فَلَا أُجِيبُه؟!

فَأَخَذُوا بِيَدِه، فَدَخَلَ فِي صَلَاة المَغْرِب فَرَكَعَ مَعَ الإِمَام رَكْعَة ثُمَّمات[1]..

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ١٣١)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٠).

قُلْتُ: وَأَذْكُرُ لمَّا زرتُ شيخَنَا محمد بن جميل زينو رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بَيْتِه..فلمَّا قَرُبَ أَذَان صَلَاة العِشَاء اسْتَأْذَنْتُه لِلذَّهاب للمَسْجِد لِأَنِّي كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّه لَا يَذْهَبُ للمَسْجِد لِمَرَضِه مَعَ كِبَر سِنِّه (قارب٨٥ سنة).. إِلاَّ أَنَّه فاجأني بقوله: وَأَنَا كَذَلِكَ أَذْهَبُ للمَسْجِد!

فوالله لازلتُ أذكرُ تلك اللَّحظات لمَّا أخذتُ بِيَد الشيخ... وصِرْتُ أَمْشِي مَعَه منْ بيته إِلَى المَسْجِد

قال الإمام ابن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن إبراهيم بن ميمون الصائغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانَ إِذَا رَفَعَ المِطْرَقَة فَسَمِعَ النِّدَاء (الأَذَان) لَمْ يَرُدّهَا»[1].

والله وبالله وتالله إِنَّه الصَّلَاح والإِصْلاح، والنَّجَاح والفَلَاح في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ].

فيا أخي لا تتَّبع خطوات الشَّيْطان، فَقَدْ أقسمَ عَلى إِضْلَالِك وإغوائك: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [سُورَةُ المَائِدَة].

إنَّ الشَّيطان الرَّجيم يغتاظ إذا رآك ساجدًا بين يدي ربِّك، أَفَتُرْضِي الشَّيْطان

الَّذِي لَمْ يَكُن قَرِيبًا.. وَأَصْبَح يُهَادَى بَيْنَ رَجُلين حَتَّى وَصَلْنَا المَسْجِدَ، وَصَلَّى في الصَّفِّ الأَوَّل.. فَرَحِمَهُ الله رَحْمَةً وَاسِعَة.

وكذلك شيخنا العلَّامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله فلَا أذكرُ أنِّي زرتُه - مع تكرُّرِ الزِّيَارة - في مسجده إِلَّا ورأيتُه في الصَّفِّ الأَوَّل.

وذكر ابنه شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله عَنْ جدِّه (والد الشيخ عبد المحسن) فقال: «وَقَدْ كان جدِّي لوالدِي وَكَانَ مِنَ العُبَّاد الصَّالِحِين رحمه الله وأسكنه فردوسه الأعلى ذا عِنَاية عظيمة بهذه التَّكْبِيرة (أي تكبيرة الإحرام)، بَلْ منذُ عرفْنَاه وهو كُلَّ يومٍ يدخلُ المسجدَ قَبلَ أذانِ العَصْر، وإِذَا صلَّى العشاء خَرَج، وكذا دخُولُه المسجد لِصَلَاتَيْ الفَجْرَ وَالظُّهر..»«تعظيم الصلاة» (ص٧١).

(١) «تهذيب التَّهذيب» (١/ ١٥١).

وتُغْضِبُ الرَّحْمَن؟!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**»(١).

فتأمَّل وتأمَّل أَخِي! امْتَنَع إبليسُ عَنْ السُّجود لله سَجْدةً وَاحِدَة فأصبَحَ مِنَ المَلْعُونِين المَدْحُورِين إِلَى يَوْمِ الدِّين..وَأَنْتَ...؟!

قِصَّةٌ وَعِبْرَةٌ:

جاءني شابٌ مِنْ الشَّباب.. طالتْ المُدّةُ ولَمْ أَلْقَه... وكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ كَثِيَر النُّصْحِ لَه بإِقَامَة الصَّلاة..

الْتَقَيْتُه في مرَّة مِنَ المرَّات..فَقُلتُ له بعد السُّؤَال عَنْه وعَنْ الأهل:

يا فلان! لِمَا تركتَ الصَّلاة مرَّة أُخرى؟

خَجل وتَلَعْثَم..ثُمَّ قال: مَنْ قَالَ لَكَ ذلك؟ أَنَا...

قُلْتُ صَدِيقِي لَا تُكْمِل: أَنَا عَلَى يقينٍ أَنَّك تَرَكْتَ الصَّلاة..وَمَع كُلِّ احْتِرَامِي وحُبِّي لَك.. أَقُولُهَا لَك بِكُلِّ صراحة: إِنِّي لَأَرَى سَوَاد المَعْصِيَة عَلَى وَجْهِك(٢)..

---

(١) رواه مسلم (٨١).

(٢) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ الطَّاعة نُورٌ، والمَعْصِيَة ظُلمَة، وَكُلَّما قَوِيَتْ الظُّلْمَة ازْدَادَتْ حَيْرَتُه، حَتَّى يَقَعَ فِي البِدَعِ وَالضَّلَالَات وَالأُمُور المُهْلِكَة وَهُوَ لَا يَشْعُر، كَأَعْمَى خَرَجَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْل يَمْشِي وَحْدَه، **وَتَقْوَى هَذِهِ الظُّلْمَة حَتَّى تَظْهَر فِي العَيْن ثُمَّ تَقْوَى حَتَّى تَعْلُو الوَجْهَ وتَصِيرُ سَوَادًا فِي الوَجْهِ حَتَّى يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ**» «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشَّافي» (ص٣٥).

فاعترفَ بقُصُوره وتَقْصِيره..فرغَّبْته ورهَّبْته.. وَهُوَ الآن وَلله الحَمْدِ مِنْ مُقِيمِي الصَّلَاة.

الصَّلاةُ .. أَخْبَر النَّبيُّ ﷺ أَنَّها نُور كَمَا في حديث أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»(١).

قَالَ الإِمَامُ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمَّا كَانَتْ الصَّلَاة مَرْكَزَ الْإِيمَان، وَأَصْلَ الْإِسْلَام، وَرَأْسَ الْعُبُودِيَّة، وَمَحَلَّ الْمُنَاجَاة، وَالْقُرْبَة إِلَى الله، وَأَقْرَب مَا يَكُون الْعَبْد مِنْ رَبّه وَهُوَ مُصَلٍّ، وَأَقْرَب مَا يَكُون مِنْهُ فِي صَلَاته وَهُوَ سَاجِد، **كَانَتْ الصَّلَاة نُور الْمُسْلِم**»(٢).

نَعَمْ أَخِي! الصَّلَاةُ نُورٌ: نُورٌ فِي قَلْبِك وَقَبْرِك... نُورٌ فِي وَجْهِك وَدَرْبِك..ونُورٌ يَوْمَ القِيَامة...

أَلَمْ تطرق أسماعك هذه الآية؟

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) «تهذيب السُّنن» (١٣/ ١٦٨).

هل عَلِمْتَ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَ المُصَلِّين في الجَمَاعَة بالنُّور:

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

يَمْشُـــونَ نَحْـــوَ بُيُـــوتِ اللهِ إِذَا سَـــمِعُوا

اللهُ أَكْبَـــرُ فِـــي شَـــوْقٍ وَفِـــي جَـــذَلِ

أَرْوَاحُهُـــمْ خَشَـــعَتْ للهِ فِـــي أَدَبٍ

قُلُـــوبُهُمْ مِـــنْ جَـــلالِ اللهِ فِـــي وَجَـــلِ

إِذَا سَـــجَى اللَّيْـــلُ قَـــامُوهُ وَأَعْيُـــنُهُمْ

مِـــنْ خَشْـــيَةِ اللهِ مِثْـــلَ الْجَائِـــدِ الْهَطَـــلِ

هُـــمُ الرِّجَـــال فَـــلا يُلْهِـــيهِمْ لَعِـــبٌ

عَـــن الصَّـــلاةِ وَلا أَكْذُوبَـــةُ الْكَسَـــلِ(٢)

---

(١) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وصحَّحه الألباني في«صحيح الجامع»(٢٨٢٣).

(٢) **فائدة:** الحكمة في قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) عند قول المؤذن (حي على الصلاة، حي على الفلاح):

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهَدْيُه ﷺ الذي صح عنه إبدالُهما بالحوقلة، وهذا مقتضى الحكمة المطابقةِ لحال المؤذِّن والسَّامع، فإن كلمات الأذان ذِكْرٌ، فَسَنَّ للسَّامع أنْ يقولها، وكلمة الحيعلة دعاءٌ إلى الصَّلاة لمن سمعه، فَسَنَّ للسَّامع أن يَسْتَعِينَ على هذه الدَّعوة بكلمة الإعانة وهي: (لا حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِّي العظيم) » «زاد المعاد في هدي خير العباد» (ص٣٩١).

أخي الحبيب إنِّي أخافُ أَنْ يمسَّكَ عذابُ الله.. إنِّي مشفقٌ عليك..حريصٌ على توبتك..على أَوْبَتِك..على رُجُوعِك.. وَإِنَابَتِك...

فلابدَّ أَنْ تعلم أَنَّ تَرْك الصَّلاة مِنْ أعظم أسباب دخول النَّار والعياذ بالله، قال تعالى:﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾[سُورَةُ المُدَّثِّرِ].

والجزاء من جنس العمل، فَمَنْ كان يسجد لله في دنياه وفَّقَه للسجود بين يدي ربِّه ومولاه يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[سُورَةُ القَلَمِ]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا** »[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٩١٩).

سُئِل سماحةُ الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«س: ما هو الحقُّ في تفسير قوله تعالى:﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[سُورَةُ القَلَمِ].

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّسول ﷺ فسَّرها بأنَّ المُراد يوم يجيء الرَّب يوم القيامة، ويكشف لعباده المؤمنين عَنْ ساقه وهي العلامة الَّتِي بينه وبينهم سبحانه وتعالى، فإذا كَشَف عَنْ ساقه عرفوه وتبعوه، وإنْ كانت الحرب يقال لها: كَشَفتْ عَنْ ساق، إذا اشتدَّتْ.

وهذا معنى معروف لغويًّا قاله أئمة اللُّغة.

ولكنْ في الآية الكريمة يجبُ أنْ يفسِّر بما جاء في الحديث الشَّريف، وهو كشف الرَّب عن ساقه

مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ: إنَّ جهنَّم حَرُّهَا شَدِيد وَيَسْتَقْبِلُون أَهْلَها (الزَّبَانِيَة) بِعَظَائِم التَّهْدِيد، ويَسُوقُونَه إلى العَذَاب الشَّدِيد، وَيُنكِّسُونَه فِي قَعْر الجَحِيم، وَيَقُولُون لَه: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ]، فَأُسْكِنُوا دَارًا ضيِّقة الأَرْجَاء مُظْلِمَة المَسَالك مُبْهِمَة المَهَالِك، يَخْلُدُ فِيهَا الأَسِير ويُوقَد فِيهَا السَّعِير، شَرَابُهُم فِيهَا الحَمِيم وَمُسْتَقَرُّهُم الجَحِيم، الزَبَانِيَةُ تَقْمَعُهُم، وَالهَاوِيَة تَجْمَعُهُم، أَمَانِيهم فِيهَا الهلاك، وَمَا لَهُمْ مِنْها فِكَاك، قَدْ شُدَّتْ أَقْدَامُهم إلى النَّوَاصِي، واسْوَدَّت وُجُوهُهم مِنْ ظُلْمَة المَعَاصِي، يُنَادَون مِنْ أَكْنَافِهَا وَيَصِيحُونَ فِي نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافِهَا: يَا مَالِكُ قَدْ حَقَّ عَلَيْنَا الوَعِيد، يَا مَالِكُ قَدْ أَثْقَلَنَا الحَدِيد، يَا مَالِكُ قَدْ نَضَجَتْ مِنَّا الجُلُود، يَا مَالِكُ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا لَا نَعُود، فَتَقُولُ الزَّبَانِيَّة: هَيْهَات لَاتَ حِينَ أَمَان، وَلَا

سبحانه وتعالى، وهذه مِنَ الصِّفَات الَّتِي تليق بجلال الله وعظمته، لا يشابهه فيها أحد ﷻ، وهكذا سائر الصِّفات كالوجه واليدين والقدم والعين وغير ذلك مِنَ الصِّفات الثَّابتة بالنُّصوص، ومن ذلك الغضب والمحبَّة والكراهة وسائر ما وصف به نفسه سبحانه في الكتاب العزيز، وفيما أخبر به عنه النَّبيُّ ﷺ.

كلُّها صفات حق، وكلُّها تليق بالله ﷻ لا يشابهه فيها أحدٌ سبحانه وبحمده، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

وهذا هو قول أهل السنَّة والجماعة مِنْ أصحاب النَّبيِّ ﷺ، ومَنْ تبعهم بإحسان مِنْ أئمة العلم والهدى، والله الموفِّق» «مجموع فتاويه (٤/ ١٣١)»، وانظر غير مأمور: «الصَّواعق المرسلة على الجهمية والمعطِّلة» (١/ ٢٥٢)، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٦ / ٣٩٤).

خُرُوجَ لَكُمْ مِنْ دَارِ الهَوَان، فَاخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون، وَلَوْ أُخْرِجْتُمْ مِنْهَا لَكُنْتُمْ إِلَى مَا نُهِيتُم عَنْه تَعُودُون، فَعِنْدَ ذَلِك يَقْنَطُون، وَعَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ الله يَتَأَسَّفُون، وَلَا يُنْجِيهم النَّدَم وَلَا يُغْنِيهِم الأَسَف، بل يُكَبُّون عَلَى وُجُوهِهِم مَغْلُولِين النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ شَمَائِلِهِمْ، فَهُمْ غَرْقَى فِي النَّارِ: طَعَامُهُمْ نَار وَشَرَابُهُمْ نَار وَلِبَاسُهُمْ نَار وَمِهَادُهُم نَار، فَهُمْ بَيْنَ مقطعات النِّيرَان وَسَرَابِيلِ القَطِرَان، وَضَرْبِ المَقَامِع وَثقل السَّلَاسِل فَهُمْ يَتَجَلْجَلُون فِي مَضَايِقِهَا،وَيَتَحَطَّمُونَ فِي دَرَكَاتِهَا، وَيَضْطَرِبُونَ بَيْنَ غَوَاشِيهَا، تَغْلِي بِهِمْ النَّارُ كَغَلْيِ القُدُور، وَيَهْتِفُونَ بِالوَيْلِ وَالعَوِيل، وَمَهْمَا دَعَوا بِالثُّبُور صُبَّ ﴿مِن فَوْقِ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ].

تُهْشَمُ بِهَا جِبَاهُهُم فَيَتَفَجَّر الصَّدِيدُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، وتَتَقطَّع مِنَ العَطَشِ أَكْبَادُهم، وَتَسِيلُ عَلَى الخُدُودِ أَحْدَاقُهُم، وَيَسْقُطُ مِنَ الوَجْنَاتِ لُحُومُها وَيَتَمَعَّطُ مِنَ الأَطْرَافِ شُعُورُهَا بَلْ جُلُودُهَا، وَكُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بُدِّلُوا جُلُودًا غَيْرَهَا..»[1].

مَا يَشْغُلُكَ عَنْ الصَّلاَة.. تَحْصِيلُه يَكُونُ بِالصَّلَاة.

أَيُّهَا العَبْدُ الضَّعِيف الفقير اعلم:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

فَكُنْ المُصَلِّي: الرَّاكِع السَّاجِد «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

---

(١) «موعظة المؤمنين مِنْ إحياء علوم الدِّين» (ص٤٨٣).

الوَقْفَةُ التَّاسِعَةُ: هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ تُصَلِّي؟

قَدْ يستغربُ الكثير مِنْ هذَا السُّؤَال- وَقَدْ كُنْتُ مِثْلَهُمْ - وَلكنَّ هذه هي الحقيقة المُرَّة في مُجْتَمعاتنا:

الكَثِيرُ مِمَّن يُصَلُّون فَضْلًا عَنْ الَّذِينَ لَا يُصَلُّون..لاَ يَعْرِفُون كَيْف يُصَلُّون.

قِصَّةٌ وَعِبْرَةٌ:

شَابٌ مِنَ الشَّبَاب..وحَبِيبٌ مِنَ الأَحْبَاب..جَمَعَ الكَثيرَ مِنَ الآدَاب..لَكِنَّ قاصمَةَ الظَّهر: لا يُصَلِّي!!

كُنْتُ كثيرًا مَا أَنْصَحُه بِإِقَامَةِ الصَّلَاة..وَفِي كُلِّ مَرَّة يَعِدُني بِإِقَامَتِهَا.. قَرِيبًا قَرِيبًا..فَشَعرتُ أنَّه يُريد أَنْ يُرضِينِي فَقَطَ..

فَفِي كلِّ مرَّة كُنْتُ أُفَتِّشُ في دَاخِله..مَا الَّذي جَعَلَهُ لا يُصَّلِي؟!

وفي يومٍ مِنَ الأيَّام..

قُلْتُ له:لابدَّ أَنْ تَصْدُقَني لِمَاذَا لَا تُصَلِّي؟

فَخَجل خَجَلًا كَبِيرًا: احْمَرَّ وَجهُه..وَطَأْطَأَ رَأْسَه..ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ منخفضٍ: لَا أَعْرف كيفية أَدَاء الصَّلاة!!

فقلتُ لَهُ: الأمر بسيط بإذن الله..أعلِّمُك إيَّاهَا..وَلنْ يَرَانَا أَحَدٌ..

وَضَعتُ السَّجَادة..وبَدَأْتُ في تَعْلِيمِه..وَلَكِنْ!!!

كَانَتْ كَالصَّاعِقَة عَلَى رَأْسِي.. بَلْ بَكَيتُ.. وأخفيتُ دُمُوعِي.. لَأَنِّي تفاجأتُ أَنَّه لَا يَحْفَظُ حتَّى «سُورَة الفَاتِحَة»..

جَمَعتُ أَفْكَارِي بَعْد تَشَتُّتِهَا..وشَرَعْتُ في بَيَان الصَّلاة لَه (أركانها وواجباتها وسننها...).. وأهديتُه كُتُبًا في بَيَان صِفَة صَلَاة النَّبِيِّ ﷺ (مُصَوَّرَةٌ) مَعَ الحِرْصِ عَلَى صَلَاة الجَمَاعَة لِضَبْطِ صِفَةِ الصَّلَاة وَبَعْضِ سُوَر القُرْآن ..فَأَصْبَحَ وَلله الحَمْدِ مِنَ المُصَلِّين.

إنَّ مِنَ التَنَاقُضِ العَجِيب الَّذِي يعيشه الكَثِيرُ مِنْ إِخْوَانِنَا أَنْ تَرَاهُ حَرِيصًا كُلَّ الحِرْص على أمور دُنْيَاه، مُقَصِّرًا مُفَرِّطًا في أُمُور آخِرَتِه وَأَوَامِر ربِّه وَمَوْلاه.

وَحُكْمُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرعِي ينقسم كمَا قال العلماء إلى قِسْمَين، فَرضُ كِفَائِي، وَفَرْضُ عَيْنِي ، وتوضيحه فِيمَا يَلِي:

طَلَبُ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ فَرْضُ كِفَايَةٍ إذا قام به من يَكْفِي صَار في حقِّ الآخرين سُنَّة، وقد يكون طلبُ العلم واجبًا على الإنسان عينيًّا أي **فَرْضُ عَيْن**، وضابطُه أَنْ يتوقَّف عليه معرفةُ العبادة الَّتِي يُرِيدُ فِعْلَهَا أو معاملة يريد القيام بها، فإنَّهُ يَجِبُ عليه في هذه الحال أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يتعبَّد لله بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المُعَاملة، وَمَا عَدَا ذلك مِنَ العلم ففرض كفاية، وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي.

ولا شك أنَّ طلب العلم مِنْ أفضَلِ الأعمال، بل هو مِنَ الجِهَاد في سبيل الله،

ولَا سيما في وقتنا هذا حين بدأتْ البدع تظهر في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتكثر، وبدأ الجهل الكثير مِمَّن يتطلَّع إلى الإفتاء بغير علم، وبدأَ الجدل مِنْ كثير مِنَ النَّاس، فهذه ثلاثة أمور كلُّها تُحتِّم على الشَّباب أَنْ يحرصَ على طلب العلم(١).

فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[سُورَةُ الرُّومِ].

تَوَجَّهتْ قُلُوبُهم، وأَهْوَاؤُهم وَإِرَاداتهم إلى الدنيا وَشَهَوَاتِها، وحُطَامِها، فَعَمِلتْ لها وَسَعَتْ وَأَقْبَلَتْ بها، وَأَدْبَرَتْ وَغَفَلَتْ عَنْ الآخرة، فَلَا الجَنَّة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي اللّه ولقائه يُرَوِّعها ويُزْعجُها، وهذا علامة الشَّقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة(٢).

أخي الحبيب ما عُذْرك غدًا أمام الله سُبْحَانه وَتَعَالى؟!

وقد وَهَبَك سمعًا وبصرًا وعَقْلًا، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[سُورَةُ الْبَلَدِ].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[سُورَةُ الانفِطَارِ].

---

(١) «كتاب العلم» (ص١٥).

(٢) «تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان» (ص٦٣٦).

زيادة على ذلك أَمَرَك بِسُؤال أهل العلم إِنْ جَهِلْتَ أَمْرَ دينِك، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[سُورَةُ النَّحْلِ].

ولا يمنعك الحياء من السُّؤال، قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لاَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيِ وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ»، ولكن هذا مِنَ الحياء المذموم وليس مِنَ الحياء المَمْدُوح.

كَمَا أَنَّهُ مِنْ نِعَمِ الله علينا في هذا العصر أَنْ هَيَّأَ لَنَا العَدِيدَ مِنَ الوَسَائِلِ الَّتِي لم تكنْ في عَصْر مَنْ مَضَى (قنوات فضائية، مواقع إلكترونية)، يمكنكُ الاستفادة منها في تَعَلُّم الصَّلاة وغيرها مِنْ أمورِ دينك، حتَّى أصبحَ الكثيرُ مِنَ النَّاس يقول: (غير ألي ما حابش يتعلم) = (من أحب أن يتعلَّم فكلُّ الوَسَائِل مُسَخَّرة).

الوَقْفَةُ العَاشِرَةُ: وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ

أخي المُصلِّي! يا مَنْ اصْطَفَاك واخْتَارَك ربُّك ومولاك..وأَقَامَكَ بَيْنَ يديه..شَرَّفَك وكَرَّمَك وأَكْرَمك وجَعَلَك مِنْ عباده المُصَلِّين... ماذا قَدَّمْت مِنَ النُّصْحِ للآخرين؟

كَمْ يحزُنني بَلْ ويُبْكيني يَوْمَ يأتيني الخبر: (فُلان مَات وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المُصَلِّين..).

كَمْ فقدنا مِنْ حبيب..كَمْ تَفَلَّت مِنْ بين أَيدِينَا مِنْ قَرِيب..كَانَ إِنْسَانًا طيِّبًا خلوقًا ولكنَّه لا يُصَلِّي!

أَيْ عَبْدَ الله مَاذَا قدَّمنا لهم مِنَ النُّصْح والتَّذْكير، والإرشاد والتَّحْذِير؟

فإِنْ قلتَ -وفَّقَكَ اللهُ- ليس لي مِنَ العلم والحلم والفهم مَا يُمَكِّنُني مِنَ الدَّعْوة إِلَى الله.

أقولُ لك: لقد خَفَّفَ عَنْكَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِك..

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١).

وكما قيل عَنْ هَذَا الحديث فيه:

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

«**بَلِّغُوا**»: تَكْلِيف.

«**عَنِّي**»: تَشْرِيف.

«**وَلَوْ آيَةً**»: تَخْفِيف[1].

خاصَّة وقد تيسَّرت الأمور للدَّعوة إلى الله: مطوية بـ ٥دج أو قرص (CD) بثمن بخس دراهم معدودة.. أو تنزيل مقطع على مواقع التواصل (**الفايسبوك، التويتر، الواتساب، الإيمو..**).

---

(١) **تَنْبِيهٌ**: قال العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولكن لا يجوز أَنْ تدعو بلا علم أبدًا؛ لأنَّ ذلك فيه خطر عليك أنت، وخطر على غيرك، أمَّا خطره عليك فلأنَّ الله حرَّم عليك أنْ تقول على الله ما لا تعلم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سُورَةُ] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ] .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أي لا تَتَّبع ما ليس لك به علم فإنَّك مسؤول عن ذلك: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

ولابدَّ أيضًا مِنْ أنْ يكون الإنسان حكيمًا في دعوته ينزل الأشياء في منازلها، ويضعُها في مواضعها، فيدعُو الإنسان المقبل إلى الله عز وجل بما يناسبه، ويدعو الإنسان المعرض بما يناسبه، ويدعو الإنسان الجاهل بما يناسبه، كلّ أناس لهم دعوة خاصَّة حسب ما يليق بحالهم.. » «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٥٧).

فهيَّا التحقْ بقوافلِ الدَّاعِين، وَشَمِّر عَلَى سَاعِدِ الجِدِّ..عَسَى أَنْ تَكُونَ مِنَ المُوَفَّقِين..جَعَلَنَا الله وإيَّاكم مِنَ المُخْلِصِين..

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[شُورَةٌ فُصِّلَتْ].

كان الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا تلا هذه الآية يقول:

«هذا حبيبُ الله.

هذا وُلِيُّ الله.

هَذَا صفوة الله.

هَذَا خِيرَة الله.

هَذَا أَحَبُّ أهلِ الأرضِ إِلَى الله.

أَجَابَ الله فِي دَعْوَتِه، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَاب الله فِيهِ مِنْ دَعْوَتِه، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِه»[1].

أيُّها الأخ المبارك..أسألك.. لَوْ أَبْصَرَتْ عينَاك حَيَوَانًا أَعْمَى يَسِيرُ في طريقٍ، يتخبَّط يمنةً وَيَسْرة، وَأَمَامَه حُفْرة عميقة، وتيقَّنْتَ أنَّه واقعٌ لَا مَحَالة.

قُلْ لي بربِّك أَلَا يَرِقُّ قَلْبُك لِحَالِه..أَلَا تُحَاوِل إِنْقَاذَه؟!

إِنَّني مُتيَقِّنٌ أَنَّ جَوَابَكَ: بَلَى، إِنْ كَانَ فِي قَلْبِك رَأْفَة وَعَطف..وَلَا أَحْسَبُكَ غَيْرَ ذَلِك.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ١٨٠).

حيوانٌ رَقَّ القلبُ له، وَلَوْ مَاتَ لَقَال الله له يوم القيامة: كنْ تُرَابًا.

فَكَيْفَ لَا تَرِقُّ القُلُوب لِحَال هَؤُلَاء؟

وَهُمْ يَسِيرُون فِي طَرِيق أَوَّله خِزْي وَعَار، وآخِرُه نَار وَأيُّ نار..نار تلظَّى، لا يصْلَاها إلَّا الأَشْقَى..نارٌ حرُّهَا شديد..وقَعْرُها بعيد..وطعام أهلها الزقوم وشرابهم فيها الصَّديد..يقال لأحدهم وهو يُلْقَى فِيهَا:﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[سُورَةُ قٓ].

ولعلَّه لا يخفى أنَّ قلوب كثير مِنَ النَّاس فيها خيرٌ عظيم، ولكن هذا الخير يحتاج إلى مَنْ يحرِّكه ويشعرهم بقيمتهم في هذه الحياة..

قلوب الكثير منهم كمرآة علاها وغطَّها الغبار فمتى استطعنا أَنْ نجلوه عنها ظَهَرَتْ لنا الصُّورَة الصَّافية، وظَهَر لنا الإيمان بصفائه ونقائه[1].

وختاما أخي أوجّه لك هذا النِّداء الأخير فأقول لك:

صَلِّ أخي قَبْلَ أَن يُصَلَّى عَلَيْك..

صَلِّ لِتَقْوَى التَّقْوَى..

صَلِّ الصَّلاة الصِّلة بَيْنَ العَبْد ورَبِّه..

صَلِّ صَلَاةَ مودِّع..بِهَا تَتَمَتَّع وتَسْتَمتِع..قبل أَنْ تُشيَّع..

صَلِّ أَخِي تُستجابُ لَكَ الدَّعَوَات..

صَلِّ أَخِي تُكْشَفْ عَنْكَ الكُرُبَات...

---

(١) «غرقى فمن ينقذهم» (ص٨).

صَلِّ أَخِي تَتَنَزَّل عَلَيْكَ الرَّحَمَات...

صَلِّ أَخِي تُدْفَعْ عَنْكَ البَلِيَّات...

صَلِّ أَخِي تُقَرِّبُكَ مِنْ رَبِّ البَرِيَّات...

اللهم اغفر لكاتبها ولقارئها ومن كان سببا في إخراجها وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منها والأموات،ووفقنا أجمعين لتعظيم الصلاة والمحافظة عليها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أبدا إلى يوم الدين.

رِسَالَةٌ مُقْتَرَحَةٌ مِنْ أَبٍ لابْنِه فِي الحَثِّ عَلَى الصَّلَاة[1]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ابْنِي الوَفِيّ الكَرِيم / ..... حَفِظَكَ الله وَبَلَّغَكَ رِضَاه وَأَسْعَدَكَ فِي دُنْيَاك وَأُخْرَاك، آمِين.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُه.

وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةُ حُبٍّ وَتَذْكِيرٍ أَكْتُبُهَا بِمِدَادِ قَلْبِ أَبٍ عَطُوفٍ، وَوَالِدٍ مُشْفِقٍ لِقُرَّةِ عَيْنِهِ وَفَلْذَةِ كَبِدِهِ رَاجِيًا سَعَادَتَهُ وَمُبْتَغِيًا فَوْزَهُ وَطَامِعًا فِي نَجَاتِهِ، وَاللهَ وَحْدَهُ أَسْأَلُ أَنْ يَتَوَلَّاكَ بِتَوْفِيقِ هِوَ يَكْلَأَكَ بِرِعَايَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ.

اعْلَمْ ابْنِي الكَرِيم أَنَّ أَهَمَّ أُمُورِ العَبْدِ الصَّلَاة؛ فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا وَحَفِظَهَا حَفِظَ دِينَه، وَمَنْ ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا مِنْ عَمَلِهِ أَشَدَّ إِضَاعَةً، وَهِيَ عَمُودُ الإِسْلَام وَقَبُولُ سَائِرِ الأَعْمَالِ مَوْقُوفٌ عَلَى قَبُولِ الصَّلَاة، فَإِذَا رُدَّتْ رُدَّتْ عَلَيْهِ

---

(١) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله في سبب تحرير هذة الرِّسالة:

«نظرًا لشكوى عدد مِنَ الآباء مِنْ تفريطِ أبنائهم في المحافظة على الصَّلاة وكسلهم عِنْدَ إيقاظهم لهَا حرَّرتُ هذه الرِّسالة تَعاونَنَا في نُصْحِ الأبناء جعلهم الله لنا أجمعين قرَّةُ أَعْيُن وأصلحهم وجعلهم مِنَ المُقِيمِين الصَّلاة بمنِّه وكرمِه».

سَائِرُ الأَعْمَال، وَهِيَ أَوَّلُ فُرُوضِ الإِسْلَام، وَهِيَ آخِرُ مَا يُفقَدُ مِنَ الدِّين، فَهِيَ أَوَّلُ الإِسْلَام وَآخِرُه، وَلَا يَسْتَقِيمُ دِينُ المُسْلِمِ، وَلَا تَصْلُحُ أَعْمَالُه، وَلَا يَعْتَدِلُ سُلُوكُه فِي شُؤُونِ دِينِه وَدُنْيَاه، حَتَّى يُقِيمَ هَذِهِ الصَّلَاة عَلَى وَجْهِهَا المَشْرُوع.

ابْنِي الكَرِيم:اعْلَمْ أَنَّ لَكَ مَوْقِفَين تَقِفُهُمَا بَيْنَ يَدَيْ الرَبِّ؛ أَحَدُهُمَا فِي هَذِهِ الحَيَاة الدُّنْيَا، وَالآخَرُ يَوْمَ تَلْقَى الله - جل وعلا - يَوْمَ القِيَامَة، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى صَلَاحِ المَوْقِفِ الأَوَّلِ فَلَاحُكَ وَسَعَادَتُكَ فِي المَوْقِفِ الثَّانِي، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى فَسَادِ حَالِ العَبْدِ فِي المَوْقِف الأَوَّلِ ضَيَاعُ أَمْرِهِ وَخُسْرَانُه فِي المَوْقِفِ الثَّاني.

المَوْقِفُ الأَوَّلُ: هُوَ هَذِه الصَّلَاة الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ -جل وعلا- عَلى عِبَادِهِ وَافْتَرَضَهَا عَلَيْهِمْ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ فَمَنْ حَافَظَ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاة، وَاعْتَنَى بِهَا، وَأَدَّاها فِي أَوْقَاتِهَا، وَحَافَظَ عَلَى شُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجباتِها هَانَ عَلَيْه المَوقِفُ يَوْمَ القِيَامَة، وَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَأَمَّا إِذَا اسْتَهانَ بِهَذَا المَوْقِفِ؛ فَلَمْ يُعْنَ بِهَذِهِ الصَّلَاة، وَلَمْ يُوَاظِبْ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَى أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا عَسُرَ عَلَيْهِ مَوْقِفُ يَوْمِ القِيَّامَة.

رَوَى التِّرْمِذِي وَالنَّسَائِي وَغَيْرُهُمَا عَنْ حُرَيث بن قَبيصَة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ فَسَأَلْتُ اللهَ -جل وعلا- أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقُلْتُ لَهُ:يَا أَبَا هُرَيْرَة! إِنِّي سَأَلْتُ الله أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا؛ فَعَلِّمْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَه مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَعَلَّ الله أَنْ يَنْفَعَنِي بِه!

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ؛ فَإِنْ صَلحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**»(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

فتأمَّل ابني رعاك الله تترُّبَ صَلَاحِ المَوْقِفِ الثَّانِي عَلَى صَلَاحِ المَوْقِفِ الأَوَّل، والخُسْرَانُ فِي المَوْقِفِ الثَّانِي عَلَى الخُسْرَان فِي المَوْقِفِ الأَوَّل.

فاتَّقِ اللهَ فِي هَذِه الصَّلَاة، وَحَافِظْ عَلَى هَذَا المَوْقِف بَيْنَ يَدَيْ الله جل جلاله، عَظِّمْ هَذِه الصَّلَاة يَعْظُمُ أَمْرُكَ عِنْدَ الله، وَتَعْلُو مَكَانَتُك عِنْدَه.

يَا أَيُّها الابْنُ المُوَفَّق! إِذَا أَكْرَمَكَ اللهُ -جل وعلا- بِأَبٍ يَعْتَنِي بِكَ فِي هَذِهِ الصَّلَاة حَثًّا وَحَضًّا وَتَرْغِيبًا؛ فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَنْزَعِج مِنْه، أَوْ أَنْ تَتَضَجَّرَ مِنْ مُتَابَعَتِهِ لَك؛ فَإِنَّه -والله- يَعْمَلُ عَلَى إِنْقَاذِكَ مِنْ سَخَطِ الله، وَيَعْمَلُ عَلَى إِيصَالِكَ إِلَى مَرْضَاةِ الله تبارك وتعالى، فَإِنَّ الله -جل وعلا- لَا يَرْضَى عَنْكَ إِلَّا إِذَا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّلَاة مُحَافَظَةً عَلَيْهَا وَأَدَاءً لَهَا.

ابْنِي الكَرِيم وَإِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ الصَّلَاةِ أَنْ تَنْهَضَ لَهَا إِذَا دُعِيتَ إِلَيْهَا بِانْشِرَاحٍ وَقُوَّةٍ وَرَغْبَةٍ وَمُجَانَبَةٍ لِلْارْتِخَاءِ وَالتَّكَاسُل.

رَوى قوام السُّنَّة أَبُو القَاسِم الأَصْبَهَانِي فِي «التَّرغيب والتَّرهيب»(٢) عَنْ عَبْدِ الله ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «يُكْرَهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّلَاة وَهُوَ كَسْلَان، وَلَكِنْ

---

(١) رواه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وقال الألباني صحيح لغيره (٥٤٠).

(٢) (١٩٠٤).

يقُومُ إِلَيْهَا طَلْقَ الوَجْهِ، عَظِيمَ الرَّغْبَةِ، شَدِيدَ الفَرَحِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي اللهَ ﷻ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ أَمَامَهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيُجِيبُه إِذَا دَعَاهُ، وَيَتْلُو هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [سُورَةُ النِّسَآءِ: ١٤٢].

فَإِنَّ الفُتُورَ وَالتَّوَانِي وَالتَّرَاخِي وَالكَسَل إِنْ وُجِدَ فِي العَبْدِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى ضَعْفِ القُلُوبِ وَوَهَنِهَا، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهَا بِقِيمَةِ الصَّلَاة وَمَكَانَتِهَا.

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ اهْتِمَامِ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِصَلَاةِ الجَمَاعَةِ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا- يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ- وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا - أَيْ الصَّلَاة - إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[1]؛ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ المَشْيَ لِمَرَضٍ أَوْ كِبَرٍ؛ أَخَذُوا بعَضُدَيْهِ، وَسَاعَدُوهُ عَلَى المَشْي حَتَّى يُقِيمُوهُ فِي صَفِّ المُسْلِمِينَ لِلْصَّلَاة، كُلُّ ذَلِكُمْ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُدْرِكَةٌ تَمَامَ الإِدْرَاكِ مَكَانَةَ الصَّلَاةِ وَقِيمَتَهَا؛ فَلَمَّا عَظُمَتْ مَكَانَةُ الصَّلَاةِ فِي القُلُوبِ تَحَرَّكَتْ تِلْكَ الأَبْدَانُ الضَّعيفَةُ إِلَى المَسَاجِدِ مَعَ ضعْفِهَا الشَّدِيدِ.

وَلِصَلَاةِ الفَجْرِ الَّتِي تَأْتِي فِي مُفتَتَحِ اليَوْمِ وَفِي بِدَايَتِهِ وَأَوَّلِه شَأْنٌ خَاصٌّ، فَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا عُنْوَانٌ عَلَى فَلَاحِ الإِنْسَانِ وَسَعَادَتِهِ فِي يَوْمِه كُلِّه، وَإِضَاعَتُهَا إِضَاعَةٌ - إي والله - لِلْيَوْمِ كُلِّه، وَذَهَابٌ لِبَرَكَتِه.

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

وَلْيُتأَمَّلْ فِي هَذَا المَعْنَى مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحيحين»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»؛ هَذَا شَأْنُ تَارِكِ صَلَاةِ الفَجْرِ: نَفْسُهُ خَبِيثَةٌ، وَيَوْمُه كُلُّه فِي كَسَلٍ، بَينَمَا إِذَا حَافَظَ عَلَى صَلَاةِ الفَجْرِ وَأَدَّاهَا فِي وَقْتِهَا مَعَ جَمَاعَة المُسْلِمِينَ كَانَتْ عُنْوَانَ البَرَكَةِ وَالخَيْرِ وَالسَّعَادَة فِي يَوْمِه.

وَلْيُتَأَمَّلْ أَيْضًا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:«ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺرَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حتَّى أَصْبَحَ قَالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ - فِي أُذُنِهِ**»[2].

وَقَدْ بَيَّنَ أَهْلُ العِلْمِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَبُولُ فِي أُذُنَيْهِ بَوْلًا حَقِيقِيًّا، فَمَا حَالُ مَنَ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ: يَقُومُ وَأُذُنُهُ مُمْتَلِئَةٌ بِبَول الشَّيطان القذِر!!

وَهِي حَالُ مَنْ يَتْرُكُ صَلَاةَ الفَجْرِ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ.

وَلْيُتَأَمَّلْ أَيْضًا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِه» مِنْ حَدِيثِ سَمُرة ابْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سِيَاقٍ طَوِيلٍ فِيهِ ذِكْرُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺالَّتِي رَآهَا، وَفِيهَا:

---

(١)رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٢) رواه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤).

قَالَ: «**وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى** «ثُمَّ قَالَ فِي تَمَامِه» : **أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذي أَتَيْت عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاة المَكْتُوبَة**»[1]، وجُعِلت العُقُوبَةُ فِي رَأْسِهِ لِنَوْمِهِ عَنْ الصَّلَاة، وَالنَّوْمُ مَوْضِعُهُ الرَّأْس.

ابْنِي الكَرِيم لِيَكُنْ لَكَ فِي سَلَفِكَ الصَّالِح أُسْوَةٌ:قَالَ وَكِيعُ بْنُ الجَرَّاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانَ الأعمشُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ تَفُتْهُ التَّكْبِيرَةُ الأُولَى، وَاخْتَلفْتُ إِلَيْهِ قَرِيبًا مِنْ سَبْعِينَ؛ فَمَا رَأَيْتُهُ يَقْضِي رَكْعَةً»[2].

وَقَالَ غَسَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَدَّثَنِي ابْنُ أَخِي بِشْرُ بْنُ مَنْصُور رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ عَمِّي فَاتَتْهُ التَّكْبِيرَةُ الأُوْلَى»[3].

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّب رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَاتَتْنِي التَّكْبِيرَةُ الأُوْلَى مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَمَا نَظَرْتُ إِلَى قَفَا رَجُلٍ فِي الصَّلَاةِ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَة»[4]، لِمُحَافَظَتِهِ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٢٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٦٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ١٦٣).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَكَثْتُ أَرْبَعِينَ سَنةً لَمْ تَفُتْنِي التَّكْبِيرَةَ الأُوْلَى مَعَ الإِمَامِ إِلَّا يَوْمَ مَاتَتْ فِيه أُمِّي فَفَاتَتْني صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ فِي الجَمَاعَة»(١).

وَقَالَ أَبُو دَاوُد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ الصَّائِغِ رَجُلًا صَالِحًا، قَتَلَه أَبُو مُسْلِم بعَرَنْدَس، قَالَ: وَكَانَ إِذَا رَفَعَ المِطْرَقَةَ فَسَمِعَ النِّدَاءَ سَيَّبَها»(٢).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رأيتَ الرَّجُل يتَهَاوَنُ فِي التَّكْبِيرَةِ الأُوْلَى فَاغْسِلْ يدَكَ مِنْه»(٣).

ابْنِي الكَرِيم إِنَّ الصَّلَاةَ نُورُ المُؤْمِنِين، وَضِيَاءُ أَفْئِدَتِهِم، وَهِي الصِّلَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ ربِّه، وَإِذَا كَانَتْ صَلَاةُ العَبْدِ صَلَاةً كَامِلَةً، مُجْتَمِعًا فِيهَا مَا يَلْزَمُ فِيهَا وَمَا يُسَنُّ، وَحَصَلَ فِيهَا حُضُورُ القَلْبِ الَّذِي هُوَ لُبُّهَا، فَصَارَ العَبْدُ إِذَا دَخَلَ فِيهَا اسْتَشْعَرَ دُخُولَهُ عَلَى رَبِّه، وَوَقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَوْقِفَ العَبْدِ الخَاشِعِ المُتَأَدِّب، مُسْتَحْضِرًا لِكُلِّ مَا يَقُولُهُ وَمَا يَفْعَلُهُ، مُسْتَغْرِقًا بِمُنَاجَاةَ رَبِّهِ وَدُعَائِه؛ فَلَا جَرَمَ أَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ المَعُونَةِ عَلَى جَمِيعِ الفَضَائِلِ وَالخَيْرَاتِ، وَأُعْظِمِ مُزْدَجَرٍ عَنْ الفَوَاحِشِ وَالمُنْكَرَاتِ.

وَمِنْ آثَارِ الصَّلَاةِ العَظِيمَةِ، وَثِمَارِهَا الجَلِيلَةِ أَنَّهَا أَعْظَمُ بَابٍ لِلْغُفْرَانِ وَحَطِّ الأَوْزَارِ وَتَكْفِير السَّيِّئَاتِ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ

---

(١) «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٩٨)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٤٦).

(٢) «سنن أبي داود» (٣٢٥٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٥)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٦٢).

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا؛ مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟**

قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا.

قَالَ: **فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهَا الخَطَايَا**»[1].

أسألُ الله الكَريمَ أَنْ يُوَفِّقَكَ لِتَعْظِيمِ الصَّلَاةِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَحُسْنِ إِقَامَتِهَا، وَأَنْ يَشْرَحَ صَدْرَكَ، وَيُيَسِّرَ أَمْرَكَ، وَيُعْلِي فِي الدَّارين قَدْرَكَ، وَصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ.

وَالِدُكَ المُحِبّ.

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

ثبت لأهم المراجع

- التَّداوي بالصَّلَاة، أحمد بن سالم بادويلان، دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية.
- تعظيم الصَّلَاة، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، طبعة خيرية، السّعودية.
- الصَّلاة الصَّلاة، ماجد بن سليمان الرسي، تقديم الشيخ أحمد بن يحيى النجمي، دار الفرقان، الجزائر.
- رسالة عاجلة إلى جار المسجد ومَنْ يسمع الأذان، محمد بن عبد العزيز المسند، مدار الوطن، السعودية.
- الدُرَّةُ المختصرة في محاسن الدين الإسلامي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية.
- لماذا أصلي؟ عبد الرؤوف الحناوي، تقديم الشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية.
- حياة السعداء، فالح بن محمد الصغير، دار ابن الأثير، السعودية.

الفِهرِسُ

مُقَدِّمَةُ..... ٥

مدخل ٩

الوَقْفَةُ الأُولَى: يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا..... ١٣

الوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ: الصَّلَاةُ شُكْرٌ..... ١٨

الوَقْفَةُ الثَّالِثَةُ: هَلْ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ أَنْ يَمُوت؟..... ٢٥

الوَقْفَةُ الرَّابِعَةُ: عِنْدَ التَّغْسِيل..... ٢٩

الوَقْفَةُ الخَامِسَةُ: غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ..... ٣٦

الوَقْفَةُ السَّادِسَةُ: لَوْ رَآكَ النَّبِيُّ ﷺ..... ٤٢

الوَقْفَةُ السَّابِعَةُ: لِمَاذَا لَا تُصَلِّي؟..... ٤٩

الوَقْفَةُ الثَّامِنَةُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاة، حَيَّ عَلَى الفَلَاح..... ٥٤

الوَقْفَةُ التَّاسِعَةُ هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ تُصَلِّي؟..... ٦٢

الوَقْفَةُ العَاشِرَةُ: وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ٦٦

الخَاتِمَةُ..... ٦٩

رِسَالَةٌ مُقْتَرَحَةٌ مِنْ أَبٍ لابْنِه فِي الحَثِّ عَلَى الصَّلَاة..... ٧١

ثبت لأهم المراجع ٧٩

الفهرس ٨٠

تصميم الغلاف أحمد الحوتي ٠١٠٠٥٨٣٣٨٥٢ - ٠٠٢

دار الفرقان
للنشر والتوزيع